

دراسات اشتراكية

- الموقف من معاهدة بنما
- الاحتكارات ووسائل الإعلام
- التعليم العالي في ظل الاشتراكية
- دراسة عن :

مشكلة الطاقة

مارس ١٩٧٨

السنة السابعة

٣



الأطفال يتصلعون إلى عالم مشرق



دراسات اشتراكية

مجلة شهرية • تصدر عن دار اخلال • السنة السابعة " ٣ " • مارس ١٩٧٨

- الدراسة الاولى :
مشكلة الطاقة ٢
- الدراسة الثانية :
الاحتكارات ووسائل الاعلام ١١
- سياسة خارجية :
الموقف من معاهدة بنما ٢٤
- ٣ رسائل من الجامعات :
التعليم العالى فى ظل الاشتراكية ٣١
- ٣ فبراير :
جيش الدولة الاشتراكية ٥٤
دور القوات المسلحة فى تحطيم الفاشية ٦٦
ثمن العلاج فى ظل الرأسمالية ٧٦
- احداث الشهر :
الجديد فى السينما ٨٢
- من عواصم العالم :
المشاكل الاقتصادية بين اليابان وأمريكا ٨٥
الحد من انتاج الحبوب ٨٧

مشكلة الطاقة

بقلم : اب نورلاند

في مختلف ميادين التطور ، يواجه العالم الحديث تناقضات ومشاكل تحتاج الى الحل دون تأخير . والعديد من هذه المشاكل عالمي ، يتوقف حله ليس فقط على جهود بلدان مفردة وانما على بلدان العالم بأسره . واحدى هذه المشاكل هي مشكلة الطاقة ، التي يجدها عدد كبير من البلدان أنها مشكلة حادة على وجه الخصوص . وبالإضافة الى كونها مشكلة عالمية ، فقد أثرت كذلك بدرجات متباينة على الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة ، وذات المستوى المختلف من التطور الاقتصادي : البلدان الرأسمالية المتطورة ، والبلدان النامية .

ومشكلة الطاقة مصدر قلق قوى اجتماعية واتجاهات سياسية مختلفة تبحث عن استراتيجيات لحلها وفقا لمصالحها وأغراضها الاجتماعية . ويسعى الشيوعيون ، باعتبارهم الطليعة السياسية للطبقة العاملة ، الآن كذلك لفهم نظري لمشكلة الطاقة .

ويؤكد ايدولوجيو البرجوازية أن هذه المشكلة ، مثل المشاكل الدولية الأخرى ، لا يمكن أن تكون هدفا لصراع سياسي داخل المجتمع الرأسمالي ، وأن على كافة أقسامها أن توحيد قواها من أجل تنفيذ برامج الطاقة التي اقترحتها حكومات البلدان الرأسمالية ، مما يعني أن على الطبقة العاملة كذلك أن يلتزم التزاما صارما بالخط السياسي البرجوازي حول هذه المسألة . وهذا بالطبع ، ليس صحيحا . فالدوائر الحاكمة في المجتمع البرجوازي تتجه الى رسم استراتيجيات لمعالجة المشاكل التي تعكس الطبيعة الطبقة لهذا المجتمع والتي تتناقض مع المصالح الحيوية والاهداف الاجتماعية للطبقة العاملة ، التي تعبر عن مصالح كل الجماهير العاملة الأخرى وكل البشرية التقدمية . ولهذا السبب ينبغي للطبقة العاملة أن تكون لها استراتيجيتها الخاصة في هذا الميدان بالإضافة الى فرة واضحة عن المهام الجديدة التي تواجهها والعوامل الجديدة التي عليها أن تعمل لها حسابا في نضالها .

ومشكلة الطاقة هي مشكلة توفير موارد الطاقة واحتياجات طويلة المدى لاستخدامها عند الحاجة . لقد كانت مشكلة الطاقة على الدوام مشكلة عبر التاريخ وأصبحت حادة على وجه الخصوص في المرحلة الحالية .

وفاقم من مشكلة الطاقة عوامل خطيرة . فأولا ، في القرن الحالي ، وبخاصة مع بدء الثورة العلمية والتكنيكية ، كانت هناك زيادة حادة في احتياجات البشرية للطاقة وحجم موارد الطاقة المستغلة والمستخدمة ، وبخاصة الموارد غير القابلة للتجديد ، التي تنتج لان تزداد أهميتها في امداد الحياة الانسانية والنشاط الاناجي بالطاقة ، مع تطور القوى المنتجة . وثانيا : كانت مشكلة الطاقة في الماضي مشكلة قومية تجد تعبيرها في عجز الموارد القومية عن تلبية احتياجات الطاقة لهذه الدولة أو تلك « عجز استكمل بالاستيراد من سوق الطاقة العالمي ، واليوم توجد مشكلة طاقة عالمية : امكانية نفاذ موارد الطاقة في العالم ، وعجز المخزون المحدود للموارد غير القابلة للتجديد عن الوفاء باحتياجاتها للطاقة ، وعدم وجود بدائل مماثلة .

ودون انكار الاخطار الحقيقية لمشكلة الطاقة ، فان المحللين التقدميين والشيوعيين يعتقدون بأنه من الممكن حلها لصالح البشرية بأسرها ولصالح البلدان المفردة . ولذلك لابد من توفر شرطين : ١ - الاستخدام الرشيد للمخزون المتاح من الموارد الطبيعية ، وبخاصة غير القابلة للتجديد ، لضمان بقائها أطول فترة ممكنة ، ٢ - البحث عن مصادر جديدة للطاقة ، بما في ذلك استخدام الطاقة الذرية ، والمياه الجوفية الحارة ، والرياح ، والمد والجزر ، وطاقة الشمس ، وهكذا (١) . وهذه المهام متداخلة للغاية : فالاستخدام

(١) لم أذكر شيئا عن الجانب الثالث الهام للمشكلة ، وأعني به ، تلوث الغلاف الجوي بالعوادم والنفايات المختلفة عن توليد الطاقة ، وهي مشكلة يتزايد نطاقها وأثرها مع تطور علوم الطاقة ، ان ذلك له علاقة اكبر بالتلوث الصناعي للبيئة منه بمشكلة الطاقة نفسها .

الرشييد للموارد المستغلة والتي على وشك الاستغلال يسمح للبشرية تدريجيا بتطوير مصادر جديدة للطاقة ، وبإدخالها الى موازين الطاقة وبالتالى الى سد جزء من احتياجاتها ، وبذلك تطور بالتدريج تكنولوجيا جديدة وبنية سفلية صناعية لازمة لاستخدامها على نطاق واسع . وإذا ما استنزفت الموارد المتاحة فى فترة قصيرة لا مبرر لها ، فستواجه البشرية الحاجة الى تطوير صناعة طاقة جديدة تماما . وبدلا من أن تنمو بشكل طبيعى من الصناعة القديمة ، فقد يصبح من اللازم أن تنشأ من حطامها على حساب جهد مادي ومعنوى هائل .

والاستخدام الرشيد للمخزون غير القابل للتجديد من الوقود المعدنى مستحيل دون هيكل رشيد لميزان الطاقة ، ينهض بأعباء استهلاك الموارد الطاقة يتمشى بشكل عام على الأقل مع نصيبها فى مخزون الطاقة العالمى . بيد أن ميزان الطاقة فى العالم الحديث ، يتناسب عكسيا وبشكل حاد مع استهلاك مصدرين طبيعيين فقط من مصادر الطاقة - النفط والغاز - باعتبارهما سائدين فى هيكله . وقد طفيا الى سطح ميزان الطاقة عندما حلت محل أنواع الوقود الأكثر انتشارا والأقل استخداما . ففي بداية القرن ، كانت بنية استهلاك الطاقة فى العالم تتمشى مع بنية مخزون الطاقة « فى ١٩٠٠ كان الفحم يشكل ٩٤.٩٪ من الاستهلاك ، والنفط ٣.٩٪ ، والغاز ١.٢٪ » ، ولكن فى أوائل السبعينات تطور الامر الى تناقض صارخ : فقد هبط استهلاك الفحم الى ٢٣.٣٪ ، بينما ارتفع استهلاك النفط والغاز الى ٧٣.٨٪ .

وفى نفس الوقت لايزال الفحم يشكل أكثر من ٩٠٪ من المخزون العالمى للوقود غير القابل للتجديد ، بينما يشكل النفط والغاز ، على التوالي ، ٦٪ و ١٨.٥٪ فقط .

وترجع سيادة النفط والغاز جزئيا الى مزاياهما التكنولوجية الواضحة ، التى تجعل من ازالة أنواع أخرى من الوقود لهما أمرا مستحيلا فى بعض الصناعات . بيد أن مزاياهما التكنولوجية فى العالم الرأسمالى ليست هى السبب الوحيد فى أنهما طفيا الى سطح ميزان الطاقة . وأحد العوامل الهامة خلف تشكيل عدم اتساق ميزان الطاقة هو أن التنقيب عن أنواع الوقود المحدودة ولكن السهلة التشييل بدرجة أكبر ، أقل حاجة لرأسمال المال نسبيا كما يعتبر مجالا للنشاط الاقتصادى أكثر ربحا .

لقد سعت الاحتكارات البولية عن عمد الى احتكار سوق الطاقة بإزالة الأنواع الأخرى من موارد الطاقة . وهكذا ، ضمنت احتكارات النفط الاساسية فى الولايات المتحدة ، مع نهاية الستينات ، السيطرة على مخزون كبير من الفحم وأوقفت استغلاله بالفعل . كما أقامت لنفسها مراكز هامة فى الطاقة النووية ،

وبذلك حولت نفسها الى احتكارات للطاقة • وباستخدام نفوذها على الفروع الأساسية للإنتاج والتسويق في مجال الطاقة ، أصبحت الآن قادرة على تعديل هيكل ميزان القوى بنشاط ، وتغييره في الاتجاه الذي يلائمها •

ان ازاحة الفحم من مركزه السائد ذات يوم في ميزان الطاقة واستبداله بالنفط والغاز ، والتحول من طاقة « الفحم » الى « النفط » جعل كثيرا من الاقتصاديات تعتمد بصورة متزايدة على استيراد النفط والغاز ، وعلى وضع الطاقة عالميا • وفي نهاية الامر ، فليس لدى كل بلد مايكفيه من موارد الطاقة : فبلد صغير مثل الدانمرك ، لا يملك موارد للنفط أو الغاز خاصة به ، عليه أن يغطى ٩٠٪ من ميزان الطاقة من خلال استيراد النفط ومنتجاته •

ومع ذلك ، فان قوانين الاقتصاد الرأسمالي قد زادت من ضيق المساحة الجغرافية التي يستخرج منها النفط والغاز • وحتى حيث يمتلك بلد رأسمالي متطور مكانه المعقولة الحجم من النفط والغاز ، نجده يفضل استخدام موارد للطاقة أرخص – وبالتالي أكثر « ربحية » ، يحصل عليها من الشرق الاوسط وأمريكا اللاتينية ، وغيرها من مناطق العالم الأقل تطورا • وينطبق ذلك الوضع على الولايات المتحدة الأمريكية : فمن ١٩٥٠ حتى ١٩٧٢ ، زادت واردات الولايات المتحدة من النفط الخام ، وهي تمتلك مكانها المعقولة منه ، أكثر من تسعة أضعاف ، بينما انخفض الاستخراج الداخلي باطراد • وفي عام ١٩٧٢ قامت الاحتكارات الأمريكية الخمسة الرئيسية في الاتحاد الدولي للنفط – اكسون ، سوكوني موبيل أويل ، تكساكو ، حلف أويل ، ستاندر أويل أدف كاليفورنيا – باستخراج أقل من ٢٠٪ من النفط من حقول النفط الأمريكية بينما زاد النفط المستورد من الشرق الاوسط عن ٥٥٪ • واليوم ، زاد بدرجة أكبر نصيب النفط المستورد في ميزان الطاقة الأمريكي •

وأمام الاحتكارات الرأسمالية فرص لتحقيق أرباح احتكارية نتيجة للهيكल المتغير والجغرافيا الاقتصادية للطاقة ، مستفيدة من اعتماد سوق الطاقة على المصدر المحدود بشكل مصطنع لمواد الوقود • ولهذا الغرض سعت الى تخفيض أسعار الجملة للنفط الخام في السوق العالمي ، ممارسة ضغطا اقتصاديا وسياسيا على البلدان المصدرة للنفط ، في الوقت الذي رفعت فيه أسعار التجزئة لمنتجات النفط في البلدان الرأسمالية المتطورة •

وقد واجه نظام الاستغلال المزدوج هذا للجماهير العاملة في البلدان الرأسمالية المتطورة والبلدان النامية اضطرابات خطيرة خلال « أزمة الطاقة » عام ١٩٧٣ – ١٩٧٤ •

ويزعم المحللون والسياسيون البرجوازيون أن أزمة الطاقة هي اما العرض الاول لنضوب قريب لموارد الطاقة المتاحة ، أو أنها نتيجة للعمل العازم من جانب البلدان المنتجة للنفط • وتكمن جذور أزمة الطاقة بالفعل في الاقتصاد الرأسمالي ذاته •

كانت أزمة الطاقة نتيجة طبيعية لازمة النظام المالى والنقدى للرأسمالية ، ومظهرا هاما لازمته العامة . ان تغير القيمة التبادلية للدولار ادى الى انخفاض كبير فى دخول النفط الحقيقية للبلدان المنتجة للنفط . وبالإضافة الى ذلك ، واجهت البلدان النامية خطر تزايد انخفاض سعر موارد الطاقة ، اذ أن البلدان الامبريالية قد سعت مرارا فى الماضى الى الخروج من الازمة الاقتصادية بآلقاء عبثها على البلدان النامية .

ومع ذلك ، فقد استفادت البلدان الاعضاء فى منظمة الاوبك ، حيث تلعب البلدان النامية الدور الرئيسى ، من الوضع السياسى المتغير فى المجال الدولى وازدياد نفوذ قوى السلام والتقدم الاجتماعى فى الشئون الدولية ، ووقفت بحزم ضد السياسة الامبريالية لاستغلال مواردها الطبيعية . لقد ادخلت زيادات ضخمة على أسعار النفط وحدثت لفترة - ١٩٧٣ و ١٩٧٤ - من بيعه للبلدان الرأسمالية المتطورة . ومن المفيد أن نشير هنا الى أنه حتى فى أكثر الفترات حدة من أزمة الطاقة كانت امدادات النفط الى هذه البلدان فى مستوى كان تماما للمجرى المعتاد للنشاط الاقتصادى .

ان احتكارات الطاقة الدولية وقد فقدت بعضا من أرباحها بسبب العمل الحازم من جانب البلدان المنتجة للنفط ، لم تعوض خسائرها فحسب من خلال الاستغلال المكثف لجماهير المستهلكين فى البلدان الرأسمالية المتطورة ، ولكنها استفادت كذلك من الوضع الناجم لرفع دخلها الى أقصى حد . وقد ثبت الآن من خلال عدد من الدراسات أن أزمة الطاقة فى العالم الرأسمالى أصبحت حادة للغاية وأدت الى هذه الآثار الخطيرة بالنسبة للاقتصاد بسبب نشاط الاحتكارات الدولية ، التى أما سمحت لها بالتطور وأما أشعلتها بالفعل .

وسعت الاحتكارات الى اقناع الجماهير بأن نمو الاسعار فى السوق المحلى انما يتفق تماما مع نمو الاسعار فى السوق العالمى ، ويرجع الى زيادة أسعار الجملة من جانب مصدرى النفط . وكان هذا تفسير واه : فأسعار منتجات النفط فى البلدان الرأسمالية المتطورة قد زادت بالفعل عدة مرات عن أسعار النفط الخام فى السوق العالمى . وهكذا توصلت لجنة فى الجمعية الوطنية الفرنسية ، قامت بدراسة نشاط احتكارات النفط خلال أزمة الطاقة ، الى استنتاج مفاده أنها حددت أسعار منتجات النفط فى مستويات لا علاقة لها بتكاليف الانتاج أو بأسعار النفط الخام ، وكان يدفعها فحسب حافز الوصول بأرباحها الى الحد الأقصى . وحدث نفس الشيء فى كافة البلدان الرأسمالية المتطورة .

حاولت الاحتكارات خلق انطباع بأن امدادات النفط محدودة وغير كافية لدرجة خطيرة . ورغبة منها فى حماية أرباحها ، فقد أخفت بالفعل عن الجماهير والحكومات المخزون الفعلي للتاج من النفط ومنتجاته ، بل حتى أخرت من وصوله الناقلات حتى زادت قيمة حملتها . وكنتيجة لذلك دخلت أزمة الطاقة أحدها

أطوارها لا في ١٩٧٣ ، عندما طبقت البلدان النامية قرارات الحظر ، وإنما في ١٩٧٤ عندما انقلب العجز في الوقود في العام السابق الى زيادة بلغت أكثر من ثلاثة أضعاف من خلال استيراد منتجات النفط .

لقد ساعدت أزمة الطاقة الاحتكارات على تحقيق أرباح هائلة . فخلال سنوات الازمة ، زادت الشركات الأمريكية الخمسة الكبيرة وحدها ، والتي هي أعضاء في الاحتكار الدولي للنفط ، من دخولها ١١٠٪ .

وفي الوقت الذي استغلت فيه أسواق الطاقة في البلدان الرأسمالية المتطورة ، حاولت الاحتكارات كذلك تقويض وحدة الأوبك وأجبارها على وقف زياداتها المطردة في الاسعار ، التي تعكس تدهور أسعار تبادل العملات الرأسمالية ، ونؤدى في الواقع الى خفض سعر النفط الخام .

وقد ولدت أزمة الطاقة عام ١٩٧٣ - ١٩٧٤ مشاكل حادة للاقتصاد الرأسمالي وزادت من حدة التناقضات الاجتماعية .

فالامداد المحدود لموارد الطاقة الى البلدان الرأسمالية المتطورة كان سببا في اضطرابات اقتصادية خطيرة ، وخلق وضعاً صعباً في القطاعات الأساسية للاقتصاد وأدى الى تدهور ملحوظ في النشاط الاقتصادي . وكأى أزمة اقتصادية ، كان لازمة الطاقة تأثيرها أولاً على حياة الجماهير العاملة والطبقة العاملة . وكان لها تأثير حاد غير موافى على العمالة ، مما أدى الى اغلاق مؤسسات مختلفة لاعتبارات متعلقة بالطاقة ، وترتب على ذلك تضخم جيش العاطلين . بالفعل . ان خفض ساعات العمل وانتعاش عدد كبير من المؤسسات الى اسبوع عمل أقصر لاقتصاد الطاقة أدى الى خفض الدخل الحقيقي لذلك الجزء من الطبقة العاملة الذي مازالت لديه وظائف . وأخيراً فإن الاسعار المرتفعة للوقود والكهرباء قد زادت من تكاليف الاسكان ونفقات الاسرة المرتفعة .

واستخدمت الاحتكارات سوق الطاقة الاضيق ليس فقط لزيادة أرباحها وإنما أيضاً للابتزاز والاملاء السياسي . واستناداً الى أن الحياة الاقتصادية في مختلف البلدان تعتمد على تدفق موارد الطاقة ، التي تسيطر عليها احتكارات الطاقة الدولية ، شن رأس المال الاحتكاري هجوماً مباشراً معادياً للديمقراطية على مكتسبات الطبقة العاملة ، ساعياً الى الحد من حقها في الدفاع عن مصالحها الطبقة وتغيير الوضع السياسي في البلدان الرأسمالية المتطورة ليصبح مناسباً له .

وحاولت حكومات البلدان الرأسمالية التغلب على أزمة الطاقة عن طريق تصحيح عدم التناسب في ميزان القوى في الاقتصاد الرأسمالي . وعن طريق تشغيل أنواع جديدة من موارد الطاقة وتطوير فروع جديدة من علوم الطاقة .

رولم تقدم هذه السياسة بعد أى حل عملي للجوانب الهامة بالمثل للمشكلة ، وفى
المحل الاول مسألة الظروف الاجتماعية للاستخدام الرشيد للطاقة .

ولم تحاول الدوائر الحاكمة فى هذه البلدان وقف سرقة الجماهير العريضة
للشعب فى وضع النهار . لم تفعل أية حكومة رأسمالية شيئا فعلا ضد مؤامرات
احتكارات الطاقة الدولية . بينما اتخذت الاجراءات لالقاء العيب الاساسى لازمة
الطاقة على كاهل جماهير الشعب . وفرضت ضريبة على مننجات النفط فى
الدانيمرك كما فى غيرها من البلدان الرأسمالية ، وألقى ذلك عبئا كبيرا
على جماهير المستهلكين .

وفى نفس الوقت ورغم نقص موارد الطاقة ، كانت لاتزال تبدد للاغراض
العسكرية المرتبطة بسباق التسلح .

وأقصى ما استطاعت الحكومات البرجوازية أن تفعله هو أنها اقترحت النهب
«المنظم» للجماهير العاملة، وهى السياسة التى سعت الحكومة الأمريكية الى
اتباعها بين أشياء أخرى (١) . واعترفت الحكومة بالفعل بحق الاحتكارات
فى استنزاف أرباح أكثر وأكثر من المستهلك . وكان الخلاف الوحيد بين
مهندسى سياسة الطاقة الجديدة واحتكارات النفط والغاز حول حجم الضريبة
التي يجب أن تفرض على سوق الطاقة . ووفقا للبيانات الرسمية وصلت
الأرباح من صناعة النفط والغاز فى الولايات المتحدة الى مبلغ ١٨.٠٠٠
مليون دولار . وتوقع الاحتكارات ، التى تتمتع بالسيطرة على هذا الفرع
من الاقتصاد ، أن ترتفع أرباحها عام ١٩٨٥ الى ١٥٠.٠٠٠ مليون دولار .
وفى نفس الوقت اقترحت الحكومة نموا منتظما للأسعار ولكنها ضمنت
فقط ١٠.٠٠٠ مليون دولار من الأرباح فى ذلك العام . وفى ذلك الوقت
ليس من الواضح ما اذا كان فى مقدور الحكومة أن تحرم الاحتكارات من
١/٣ مكاسبها المتوقعة ، لكن من الواضح تماما أن هذا لن ينقذ جماهير
المستهلكين من ارتفاع كبير فى الأسعار . والحجة الوحيدة للحكومة دفاعا
عن سياستها هى أنه مالم تنظم الأسعار فمن الممكن أن تتضاعف
بالنسبة للغاز مثلا ، ١٥ مرة . وتبين السياسة « الجديدة » أن
الحكومات البرجوازية لاتستطيع أن تفعل شيئا للتحكم فى احتكارات الطاقة
أو لحل مشكلة مكامن النفط والغاز لصالح المجتمع فى مجموعه .

والمجتمع البرجوازي عاجز عن حل المشاكل الاجتماعية الحادة فى توزيع
موارد الطاقة « التقليدية » . كما أنه لا يستطيع أن يفعل شيئا حياا لاستخدام

(١) وتستهدف هذه السياسة كذلك اجراءات مثل توفير موارد الطاقة عن طريق
الحد من استهلاك الطاقة ، وتطوير المصادر القومية للحد من الاعتماد على السوق ، الخ .
ومع ذلك فان هذه الإجراءات ليست جديدة فى حد ذاتها وقد اقترحت فى أكثر من مناسبة
على برامج الحكومات البرجوازية .

موارد الطاقة الجديدة دون توليد مشاكل جديدة وعلى نفس الدرجة من الحدة . والطاقة النووية يمكنها أن تكون مثل هذا المصدر الجديد في الدنمرك . بيد أن علم الطاقة النووية قد أصبح الآن مجالا هاما للنشاط الاقتصادي للاحتكارات الدولية ، التي ترى فيه مصدرا كامنا لفائض أرباح احتكارية جديدة . وهكذا يتضح أن الطاقة النووية ، إذا ما استخدمتها الاحتكارات ، ليست فقط وسيلة الزيادة سرقة جماهير الشعب ، وإنما ستكون أيضا مصدرا لخطر متزايدة . إن الاستخدام غير المنظم لمصادر الطاقة القوية والخطرة حراريا يجعل في طياته امكانية تلوث البيئة بالمواد المشعة التي تقتل كل الحياة . ولهذا السبب تحتج الجماهير العاملة ضد استخدام الاحتكارات للطاقة النووية .

إن الاستخدام المتناقض للمنجزات العلمية والتكنيكية في ظل الرأسمالية هو سمة طبيعية للمهنية البرجوازية أشارت إليها كلاسيكيات الماركسية اللينينية منذ زمن طويل . وكتب أنجلز عن ذلك في كتابه ، جديليات الطبيعة ، يقول : « في علاقتها بالطبيعة ، كما في علاقتها بالمجتمع ، فقائلا ماتهتم طريقة الإنتاج الحالية فحسب ، بالنتيجة العاجلة ، الملموسة بدرجة أكبر ، ثم يعربون عن دهشتهم من أن أبعد آثار الأعمال الموجهة نحو هذه الغاية يتضح أنها مختلفة تماما ، وغالبا ما تكون العكس تماما في طبيعتها » . (١)

والحد الأقصى من الأرباح ، الذي يجعل رجال الأعمال يتجاهلون المهام الاجتماعية الأعرض ، هو الهدف العاجل والأهم للنشاط الاقتصادي الرأسمالي . وهذه النتيجة يولدها على الدوام النشاط الاقتصادي في المجتمع الرأسمالي ، ولا يمكن أن يقضى عليها نشاط الحكومات البرجوازية . أن التناقض بين الأهداف المحدودة للإنتاج الرأسمالي ، والتي يحددها علاقات الإنتاج الكامنة ، ونمو القوى المنتجة تحت تأثير الثورة العلمية والتكنيكية الجارية هما السببين الأصليين للأزمة التي تزداد عمقا في التطور العالمي .

ولقد قال ماركس أنه في المجتمعات المتناحرة ، بما في ذلك المجتمع الرأسمالي يتم التغلب على التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج من خلال صراع الطبقات . ولهذا السبب ، فإن على الطبقة العاملة ، القوة التحويلية الرئيسية في المجتمع ، أن تجد حلولاً للمشاكل التي تظهر في « الحياة العالية » للبشرية وتبين طرق حل هذه المشاكل ، سواء في ضوء الأفق التاريخي أو لتنظيم العمل المعاجل في الوقت الحاضر .

والشيوعيون الدنمركيون يبنون تحليلهم لأشكال وأساليب حل التناقض في تطور القوى المنتجة في ميدان الطاقة على نقطتين . أولا ، أنهم يضعون في حسابهم الحقيقة الماثلة في أن بعض الافاق المبشرة للغاية للتطور البشري ترتبط

(١) فريدريك أنجلز ، جديليات الطبيعة ، موسكو ، ص ١٨٣ .

دون شك بالاستخدام الرشيد للطاقة النووية ، عندما تسخر الطاقة لخدمة السلام . وثانيا : فهم لا يفوتهم أبدا أن مصالح الاحتكارات في ميدان الطاقة النووية تحددها الاعتبارات الضيقة لتحقيق الأرباح وأن الرأسماليين يسعون الى تجنب أى التزام لتطوير صناعه الطاقة لصالح المجتمع . ويعارض الشيوعيون هذا الاستخدام للمنجزات العلمية والتكنيكية ، ولكنهم لا يعارضون التقدم العلمى والتكنيكي بشكل عام . ومسألة الاستخدام الصحيح للطاقة النووية هى أحد المسائل المتعلقة بالنضال المعادى للاحتكار ، والصراع الطبقي .

والاخطار التى تخلفها الاحتكارات من خلال معالجتها التعسفية للقوى الجبارة. للذرة تقدم لنا الآن مع ذلك حجة جديدة لصالح التحولات الاجتماعية الجذرية . فآزمة الطاقة ، التى لا يوجد حل مقبول لها فى ظل السيطرة المستمرة للاحتكارات. تدعو الى اقامة علاقات انتاج اشتراكية ، مع انتقال المجتمع بالتالى الى الشيوعية.

ومع ذلك فان التحويل الثورى للمجتمع الرأسمالى وبناء الاشتراكية. والشيوعية هو الهدف الاستراتيجى البعيد للشيوعيين . فماذا ينبغى أن تكون عليه استراتيجيتهم اليوم ، فى مرحلة النضال فى المجتمع البرجوازي وفى ظل القمع الاقتصادى والسياسى والروحى الرأسمالى ؟

اننا نعتقد أن خطأ استراتيجيا عقليا يجب أن يتجه نحو هذه المهمة المزدوجة : فمن ناحية ينبغى منع الاحتكارات من توليد مشاكل جديدة بل وأكثر خطورة ، ومن ناحية أخرى ، ينبغى منعها من حل المشاكل العالمية ، بما فى ذلك مشكلة الطاقة ، على حساب الطبقة العاملة والجماهير الشعبية الأخرى .

ومثل هذا التغيير فى الظروف الاجتماعية لتطوير مجال الطاقة واستخدام أحدث منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية فى هذا القطاع من الاقتصاد لا يعتبر بحسب مقدمة منطقية لتسوية أزمة الطاقة والقضاء على الاخطار المرتبطة بتقنم صناعة الطاقة . انه شرط ضرورى كذلك لمواصلة تحويل المجتمع .

وتتميز آراء الشيوعيين النظرية ونشاطهم العملى بامتزاج جليل بين المصالح الانسانية العامة والطبقية الاجتماعية . وفى معارضتها للايديولوجية والسياسة البرجوازية لحل المشاكل العالمية ، تعبر الطبقة العاملة ليس فقط عن موقفها الطبقي الاجتماعى وانما تحمى كذلك مستقبل البشرية بأسرها . وهى تمنع البرجوازية من توسيع هذه المشاكل العالمية وتعميقها . ويعطى ذلك مغزى عاليا لنضال الطبقة العاملة من أجل مشكلة الطاقة وغيرها من المشاكل العالمية. ويبين أنها تعبر عن مصالح البشرية بأسرها .

الاحتكارات ووسائل الإعلام

بقام: روبرت فيليبوف

- « ان السمات السياسية المحددة للامبريالية هي الرجعية
على طول الخط والقهر القومي المتزايد الناجم عن قهر
الاوليجاركية المالية والقضاء على المنافسة الحرة » « ف .
ا . لينين ، الاعمال المختارة ، المجلد الاول ، دار النشر
باللغات الاجنبية - موسكو ١٩٥٢ صفحة ٥٤٩ »
- ان نمط ملكية وسائل الاعلام في الولايات المتحدة قد
ربط بعمق بينها وبين المؤسسة العسكرية الصناعية ، وجعل
منها مرفأ لمؤامرات وكالة المخابرات المركزية والمؤامرات
الرجعية . وهذه النتيجة وغيرها من نتائج سيطرة الاحتكار
على وسائل الاعلام هي موضوع هذا المقال .

والمالكون الرئيسيون لوسائل الاعلام هم :

شركة ايه بى سى ١٦٪ . وستنجهاوز ١١٪ . شركة سى بى اس ١١٪ .
ماكورميك - باترسون ٩٪ . شركة ان بى سى « آر سى ايه » ٩٪ آر كى
أو « جنرال تاير » ٨٪ . نيوهاوس ٧٪ كاولز - ويدر ٦٪ . متروميديا
٦٪ كابينال سينتز ٦٪ . ستور ٥٪ سكريبس هاوارد ٥٪ هيرست ٥٪ (١)

ومن بين هذه ، يوجد عديد من كبرى الشركات ذات التعاقدات العسكرية
فطبقا لآخر البيانات المتاحة ، كانت وستنجهاوز ، خلال السنة المالية
١٩٧٥ ، تحتل المركز الحادى والعشرين بين الشركات التى حصلت على أعلى
عقود من البنتاجون بما قيمته ٣١٥ مليون دولار ، وجاءت آر سى ايه فى
المركز الخامس والعشرين وحصلت على عقود قيمتها ٢٨٦ مليون دولار ،
وجاءت جنرال تاير فى المركز السابع والثلاثين وحصلت على عقود قيمتها
١٦٩ مليون دولار « وزارة الدفاع ، الشركات المائة التى حصلت على أعلى
عقود عسكرية عام ١٩٧٥ » .

وهذه الشركات وغيرها مثل جنرال اليكتريك ، احلدى كبرى شركات
انتاج الاجهزة الاذاعية ، التى جاءت فى المركز السابع بين الشركات التى
حصلت على أعلى عقود عسكرية من البنتاجون « اذ حصلت على عقود
قيمتها ١٣٢ مليون دولار عام ١٩٧٥ » تحتل قنب المؤسسة العسكرية
الصناعية وكذلك صنعة وسائل الاعلام .

ويتبلور هذا التكافل المتبادل فى اتحاد القوات المسلحة للمواصلات
والااليكترونيات الذى يضم بين أبرز أعضائه شركات مثل آر سى ايه ، واى
تى تى ايرو سبيس وبوينج . ويضم « أعضاء مجموعته » أكثر من ٢٢٥
شركة لصناعة الدخائر والااليكترونيات والشركات المرتبطة بها . وأحد نواب
رئيس هذا الاتحاد هو ه . ر . هوكنز من شركة آر سى ايه الشركة « الام »
لشركة ان بى سى .

فى سنة ١٩٦٥ ، ألقى ديفيد سارنوف ، الذى كان فى ذلك الوقت رئيسا
لمجلس ادارة شركة آر سى ايه ، خطابا فى مأدبة الاجتماع السنوى لاتحاد
القوات المسلحة للمواصلات والااليكترونيات . وبرزصفه المدير الدائم للاتحاد
أعلن « التحالف العامل للقيادة الصناعية والعسكرية الذى تمثله هذه
المنظمة » . وقال « لقد استغرق الامر قرابة قرنين من الزمان وعديدا من
الصراعات الممتدة لكى نتعلم ان غيب هذا التحالف الحيوى فى زمن السلم

يمكن ان يكلفنا غالبا في زمن الحرب « وأن « اتحاد القوات المسلحة للمواصلات والالكترونيات قد صاغ وحدة للمصالح الوثيقة الارتباط بحيث ان كل ما يؤثر في تقدم أحد الشريكين ينعكس على تقدم الشريك الآخر » وينعكس هذا « التحالف الحيوى » فى ميزانية « المخابرات والاتصالات » التى رصدها وزارة الدفاع للسنة المالية ١٩٧٦ وبلغ قدرها ٧٦٧ مليار دولار « ميزانية حكومة الولايات المتحدة ، السنة المالية ١٩٧٨ » .

وقد لاحظت مجلة فاريتى منذ اكثر من عشر سنوات تبعية وسائل الاعلام للبنتاجون فقالت : « واليوم فان أساطين الاذاعة ، بحكم الروابط الابوية ، متورطون ببساطة فى العقود الحربية والعمل القومى والدولى » ٢٨ ديسمبر ١٩٦٦ ص ١ و ص ٥٤ .

وكالة المخابرات المركزية :

فى عام ١٩٦٧ كشف القناع علنا عن راديو اوربا الحرة بوصفه تابعا لوكالة المخابرات المركزية . وكان أحد الاعضاء الحاليين فى لجنة المواصلات الاتحادية وهو أبوت م . واشيرين نائب المدير التنفيذى للحملة من أجل الحرية « راديو اوربا الحرة » خلال عامى ١٩٥٠ - ١٩٥١ .

وفى ٢٣ يناير من العام الماضى أوردت صحيفة واشنطن بوست فقرات من دراسة لم تدع للجنة المخابرات بمجلس النواب الأمريكى . وجاء فى هذه الدراسة أن « التدفق الحر للانباء ، وهو حيوى بالنسبة للصحافة المسؤولة والموثوق بها ، قد تعرض للتهديد نتيجة استخدام وكالة المخابرات المركزية لاجهزة الاعلام العالمية كستار ولجمع المعلومات فى الخفاء . » وجاء فى هذه الدراسة أيضا أن هناك أحد عشر شخصا من عملاء المخابرات المركزية المتفرغين يعملون فى الخارج تحت ستار أنهم صحفيون وان لدى وكالة المخابرات المركزية ترتيبات مع خمس عشرة شركة من شركات التلفزيون والاذاعة والصحف والمجلات لى تقدم « الغطاء » اللازم لعملائها .

وفى ٢٣ مارس ١٩٧٧ أوردت صحيفة نيويورك تايمز عنوانا رئيسيا يقول « كارتر يطلب اعتمادات لتحقيق زيادة كبيرة فى الاذاعة الى الكتلة السوفيتية . » وامترف المقال الذى كتبه دافيد باتيلر أن « راديو اوربا الحرة واذاعة الحرية كانا يعتبران فى أوائل الخمسينات على أنهما من أدوات الحرب الباردة ليدور بذور الشقاق وتشجيع الأفكار المناهضة للشيوعية فى الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية » . وزعم المقال ، دون أن يورد مستندات تؤيد زعمه ، أن روابط وكالة المخابرات المركزية بمحطتى الاذاعة قد قطعت فى عام ١٩٧٣ .

رأس المال المالي :

لم يلق دور البنوك فى السيطرة على وسائل الاعلام من الاهتمام العام سوى قدر ضئيل جدا . فقد اكتشفت لجنتان فرعيتان من لجان مجلس الشيوخ الأمريكى ان ٢٤.٨٪ من أسهم شركة الاذاعة الأمريكية « اى بى سى » مملوكة لثمانية بنوك ، وأن ٣.٨٪ من الاسهم العامة لشركة اذاعة كولومبيا « سى بى اس » مملوكة لاحد عشر بنكا وأن ٢٦.٩٪ من السندات العامة لشركة جنرال تاير آند ربر مملوكة لستة بنوك . وهذه البيانات ترجع الى عام ١٩٧٢ .

وبالاضافة الى ذلك ، لاحظت الدراسات ان لجنة مجلس النواب الفرعية للبنوك والمعلمة فى دراستها لعام ١٩٦٨ بعنوان **البنوك التجارية ونشاطاتها الاحتكارية : التأثير الجديد على الاقتصاد الأمريكى** ، اعتبرت أن امتلاك فئة معينة لخمسة فى المائة أو أكثر من الاسهم تعد أمرا ذا مغزى بالنسبة للتأثير المحتمل لهذا البنك على شركة بعينها . وأكدت هذه اللجنة انه « حتى ١ أو ٢ فى المائة من الاسهم فى شركة مملوكة للجمهور يمكن أن يكون لها تأثير هائل على سياسات الشركة وعملياتها » .

وفى عام ١٩٧٢ رفعت لجنة المواصلات الاتحادية حدود الملكية بالنسبة للبنوك من ١٪ الى ٥٪ . وتلاحظ اللجان الفرعية بمجلس الشيوخ الأمريكى أن اللجنة فعلت ذلك لان كثيرا من البنوك كانت مخالفة لنسبة الواحد فى المائة التى حددتها اللجنة . ولكى تلتزم البنوك بهذه النسبة كان يتحتم على تسعة عشر بنكا أن تتخلص من أسهم تبلغ قيمتها ٩٧٦ مليون دولار فى ٢٥ شركة .

لجنة المواصلات الاتحادية :

يقول فيك رينمر رئيس الموظفين بلجنة مجلس الشيوخ الفرعية عن التقارير والمحاسبة والإدارة ، ان « لجنة المواصلات الاتحادية أغفلت بدهوء فى العام الماضى دراستها التى استغرقت خمس سنوات لانماط الملكية فى شركات الاذاعة » وأن اللجنة « باغلاقها هذه العملية غفلت نتائجها فى رداء من السرية الادارية » .

وقد طالبت لجنة المواطنين القومية للاذاعة بالاطلاع على هذه المعلومات استنادا الى قانون حرية المعلومات ، غير أن لجنة المواصلات الاتحادية لم تنشر الا النذر اليسير .

ومثل هذا الرضوخ المزرى للاحتكارات لا يكاد يثير أى دهشة . فقد لاحظت دراسة أجراها معهد بروكنجز أنه فى الفترة من ١٩٤٥ حتى ١٩٧٠

لم يكن هناك سوى أربعة من أعضاء لجنة المواصلات الاتحادية الثلاثة والثلاثين هم فقط الذين لم يكن لهم انتماء لصناعة المواصلات قبل الحصول على وظائفهم التي تهتم بالتعيين ، وقد حصل ٢١ منهم على وظائف مغرية في الصناعة بعد انتهاء فترة عملهم في لجنة المواصلات الاتحادية « ويتضمن هذا العدد الأخير بعض أعضاء اللجنة ممن كانوا على علاقة بصناعة المواصلات قبل تعيينهم في لجنة المواصلات الاتحادية » .

وعلى سبيل المثال فان جيمس هـ . كويلو عضو لجنة المواصلات الاتحادية الحالي كان لعدة سنوات يعمل مع شركة كاييتال سيتيليز برودكاستنج واعتزل العمل وهو نائب لرئيس الشركة في عام ١٩٧٢ . كما كان أبوت م . ماشيرين وهو عضو آخر في لجنة المواصلات الاتحادية حاليا يرتبط ارتباطا وثيقا بحملة وكالة المخابرات المركزية من أجل الحرية .

ثم يأتي الكتاب السنوي للإذاعة لعام ١٩٧٥ ليخطر قسرا به سرور بأن « لجنة المواصلات الاتحادية لا تنظم اعلانات الشركات التجارية القسرية » وأنه « ليست هناك حصة تجارية في قواعد لجنة المواصلات الاتحادية » ولكن قانون اتحاد المذيعين الوطني يحدد حدا أقصى قدره ١٦ دقيقة في الساعة . وبعبارة أخرى فان لجنة المواصلات الاتحادية تسمح ببساطة للصناعة أن تكون رقيبة على نفسها في هذا المجال الحيوي .

الارباح والاحتكار :

ليس غريبا إذن ان ترفل الصناعة في فيض من الارباح . تقول مجلة « بيزنس ديك » عدد ٢١ مارس ١٩٧٧ ص ٧٨ :

لقد حققت شركات الإذاعة والتلفزيون أداء رائعا دعمه تحقيقها ٩٦٪ زيادة في الدخل خلال الربع الأخير من السنة . لكن الزيادة في أرباح الصناعة لكل العام بنسبة أكثر من ٧٠٪ كانت واضحة تماما اذا ماقيست بزيادة الدخل بنسبة ٣٢٪ لشركة أمريكان برودكاستنج و ١١٪ لشركة متروميديا .

وبالنسبة لعام ١٩٧٦ ككل كانت الارباح الخالصة من الضرائب المتاحة الحملة الاسهم كنسبة مئوية هي ٢٠ في المائة لصناعة الراديو والتلفزيون مقابل ١٤ في المائة لكل الصناعة في مجموعها .

وحتى مارتن هـ . سيلدن المتحدث المدافع عن الصناعة اضطر لان يعترف أنه في عام ١٩٧٢ كانت الارباح قبل خصم الضرائب لمحطات الإذاعة

والتلفزيون الخمس التي تملكها كل من شركات ايه بى سى وان بى سى وسى.
بى اس تبلغ ١.٢ مليون دولار اى بنسبة ٣٠٪ من ال ٣٣٩ مليون دولار
التي « حصلت عليها » كل محطات التلفزيون الاخرى مجتمعة والتي يبلغ
عددها ٦٤٨ محطة .

وقد توصلت الدراسات التي اجريت حول وبحية صناعة الراديو
والتلفزيون الى ان هذه الهوامش العالية جدا من الربحية ليست طفرة ،
بل انها موجودة منذ الخمسينات .

كذلك توصلت دراسة معهد بروكنجز المشار اليها آنفا الى ان :

التلفزيون نشاط مركز تركيزا عاليا . ذلك ان الشبكات الثلاث تصدر
نحو ٨٥٪ من برامج فترة المساء و ٦٠ في المائة من جميع برامج المحطات
المنتمية اليها والتي تمثل ٨٧٪ من جميع المحطات وتمتلك كل من الشبكات
الثلاث الحد الاقصى القانوني وهو خمس محطات ذات تردد عال .. وهناك
ثلاثون في المائة من محطات التلفزيون تملكها صحف يومية تمثل من
الناحية النظرية « ! » منافسة قوية للتلفزيون على الاقل فيما يختص
بالاخبار .

وبلاحظ الكاتب المعروف دافيد هالبرستام ان الهدف الوحيد لرئيس
شركة سى بى اس بيل بالى هو الارباح ويقول :

فى المرات النادرة عندما كان الاصدقاء يشكون من أنواع العروض التي
تقدمها شركة سى بى اس كان هو « بيل بالى » يجيب بأن وظيفته هى رفع
قيمة اسهم الشركة . وكان يقول لكبار معاونيه فى الاجتماعات العليا انه
يريد ١٥٪ زيادة فى الارباح كل عام . وهذا النوع من هامش الربح لا يمكن
تحقيقه الا بالاقبال من الافلام التسجيلية والتمثيليات التجريبية .. بل انه
اعلن امام اجتماع لحملة الاسهم فى عام ١٩٦٥ أن الارباح كان يمكن أن
تكون أعلى لولا أن تغطية الاحداث غير المتوقعة مثل رحلات الفضاء
ومظاهرات الحقوق المدنية وجنازة ونستون تشرشل كلفت حملة الاسهم
ست سنتات للسهم الواحد ... وكانت هذه لحظة صدق تجارى . ومن
الواضح انه كان يخطط للاقلال من الاحداث غير المتوقعة . وبعد عام ارتفعت
الارباح الى أكثر من ٦٣ مليون دولار .

وفى معرض الإشارة الى احتكار الاذاعة الضخم . ذكر نيكولاس جونسون
العضو السابق بلجنة المواصلات الاتحادية فى كتابه « كيف تتحدث الى جهاز
التلفزيون عندك » « اتلانك مونثلى بريس » ، ١٩٧٠ :

ان القوة السياسية القومية فى ملكية مجموعة من كبرى محطات التليفزيون فى نيويورك ولوس انجيلوس وفيلادلفيا وواشنطن على سبيل المثال اكبر مما يمكن لاية ديمقراطية أن تضعه فى شخص واحد أو شركة واحدة .

ومع ذلك فبالإضافة الى الملكية المباشرة لخمسة عشرة محطة اذاعية فان كل ثلاث من كل أربع محطات تليفزيون مرتبطة بالشبكات الكبرى الثلاث - اى بى سى و سى بى اس و أن بى سى .

ولكى تدرك مدى عمق تأثير هذه الحقائق يكفى أن نعلم أن أكثر من ٩٥٪ من جميع منازل الولايات المتحدة لديها أجهزة تليفزيون وهى نسبة اعلى كثيرا من نسبة المنازل التى بها أجهزة صرف صحى داخلية . و ٢٥٪ من هذه المنازل بها أكثر من جهاز واحد . والمنازل المتوسطة بدير جهازه على مدى أكثر من ست ساعات فى اليوم . وأثناء فترة المساء المبكرة من ٨ الى ١١ مساء يشاهد التليفزيون أكثر من ٧٥ مليون شخص تسعة اعشارهم يشاهدون برامج واحدة من الشبكات الرئيسية الثلاث .

الاحتكار والصحف :

بالنسبة لوسائل الاعلام ككل « وبخاصة الصحف » فان « معظم الاخبار وبرامج الترفيه التى يتلقاها الجمهور الأمريكى تنتجها خمس شركات هى : يو بى اى و اى بى و سى بى اس و اى بى سى و أن بى سى .

ويتضح الدور الهائل الذى تلعبه مجموعات الصحف فى مجال الصحافة واليوم تلتهم هذه المجموعات الصحف بمعدل لم يسبق له مثيل « لسبب واحد أساسى هو أنها تدر أموالا » على حد قول نيويورك تايمز بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٧٧ .

ففى العام الماضى تفرقت ملكية ٧٢ صحيفة يومية مقارنة بعدد العام السابق الذى كان ٤٩ صحيفة . وكان المشترون الأساسيون هم مجموعات الصحف .

يقول جون مورتون المحلل الصحفى بشركة كولين هوستين ان من الروافد الجذابة بالنسبة لاية صحيفة فيما يتعلق بالمجموعات هو أن تكون « احتكارا فى المنطقة » .

ويضيف هذا المحلل الصحفى قائلا :

أن ثلاثا من كل خمس صحف من صحف البلاد البالغ عددها ١٧٥٦ صحيفة يومية مملوكة الآن للمجموعات . « ومنذ سبع سنوات ومع وجود نفس العدد تقريبا من الصحف اليومية كان أقل من نصفها مملوفا للمجموعات » وبينما تمتلك بعض المجموعات صحيفتين أو ثلاث صحف فقط فإن الائنتي عشرة مجموعة الكبيرة تمتلك الآن ٣٨ في المائة من الواحد وستين مليون صحيفة التي توزع في الولايات المتحدة كل يوم .

في عام ١٩٧٢ كانت البنوك تمتلك ٢١ في المائة من الاسهم العامة لمجموعة صحف نايت و ٥٩ في المائة من مجموعة ريدر .

وطبقا لما أوردته مجلة اديتور آند بيليشور « المحرر والناشر » انخفض عدد الصحف الصباحية والمسائية من ٢٠٤٢ صحيفة عام ١٩٢٠ الى ١٧٧٤ عام ١٩٧٣ . وليس هناك وجود من الناحية العملية لصحف يومية متنافسة .

وفي عام ١٩٧٤ تنبأ السناتور توماس ج . ماكينتايير بأنه طبقا لمعدل التوسع الحالي فإن « جميع الصحف اليومية -- وأقول جميعها -- ستكون مملوكة لمجموعات خلال أقل من عشرين عاما » .

وقد قدر ستيفن ر . بارنيت أستاذ القانون بجامعة كاليفورنيا أنه في عام ١٩٧٣ كانت هناك ٩٣ حالة في نحو ٨٥ مدينة بالولايات المتحدة كان مالك الصحيفة يمتلك أيضا واحدة أو اثنتين من محطات التلفزيون المحلية .

وذكر اتحاد ناشري الصحف الأمريكية في عام ١٩٧٠ أن ٩٦ محطة تلفزيون و ٣٠٠ محطة إذاعة مملوكة لشركات تدبر صحفا في نفس المنطقة . واليوم فإن أكثر من ٢٥ في المائة من جميع محطات التلفزيون مملوكة للصحف « كانت النسبة المثوبة في الاعوام السابقة اعلى من ذلك ولكن السبب يرجع الى أن محطات التلفزيون كانت أقل كثيرا في الماضي »

وثمة نقطة هامة حول هذا الاحتكار المتزايد هو أن أسعار الاعلانات التي تتقاضاها محطات التلفزيون والصحف المملوكة ملكية مشتركة اعلى بنسبة تتراوح بين ١٠ و ١٥ في المائة من أسعار المحطات والصحف التي ليست محتكرة على هذا النحو . وقد أوضح تقرير قانوني قدمته وزارة العدل الأمريكية أن فرض حظر على الملكية المشتركة سوف يشجع على المزيد من تغطية الأنباء بصورة مستقلة .

الغنف :

توصلت دراسة أجرتها مؤسسة الفريد أ . دي بون وجامعة كولومبيا

واستمرت لمدة عام الى أن الاذاعة « تبديد بشع لواحد من أهم موارد الامة .
انها وحش خبيث يستنزف طاقات الامة وينتهك قيمها » .

لقد أصبحت وسائل الاعلام أداة للعنف الامبريالي وأصبحت ممارسة
الوحشية على العاملين جزءا لا يتجزأ من هذه الترسانة .

وبلاحظ الدكتور جورج جيرنز عميد كلية انبرج للمواصلات فى جامعة
ينسلفانيا ، والذي يقوم بتجميع كتاب سنوى عن العنف فى التلفزيون للمعهد
القومى للصحة العقلية ، ان التلفزيون يخلق « جيلا من الخوف » يؤمن
بان العنف موجود فى كل ماحولنا . وقد أوضح كتابه لعام ١٩٧٤ - ١٩٧٥
أن الذين يشاهدون التلفزيون لفترات طويلة يبالغون فى تقدير عدد
رجال البوليس فى الولايات المتحدة والنسبة المئوية للجرائم العنيفة ،
ويبدو الخوف فى أسوأ حالاته لدى أولئك الذين يصورون عادة على أنهم
ضحايا كالثباتات والمستنيرين والاقليات .

وتؤكد دراسات الدكتور فيكتور كلاين من جامعة يوتاه حقيقة أن العنف
فى التلفزيون يجعل شعور المشاهدين يتبدل ازاء المعاناة البشرية . وقد
تضمنت إحدى تجاربه عرض مشاهد من فيلم « البطل » على مجموعتين من
الأولاد - أحدهما نادرا ماتشاهد التلفزيون والأخرى تشاهده على مدى
٤٢ ساعة أسبوعيا فى المتوسط ، وبالنسبة لهذه المجموعة الثانية فإن
ضربات قلوب الأولاد وتنفسهم وغير ذلك من مؤشرات الاستجابة العاطفية
كانت توضح باستمرار رد فعل أقل بالنسبة للمجموعة التى تشاهد
التلفزيون أقل منهم . وقد أوضح ذلك أن الذين يشاهدون التلفزيون
لفترات طويلة يتبدل احساسهم تجاه الوحشية .

العنصرية :

تنتشر العنصرية فى وسائل الاعلام . وهنا قد يكون من المفيد أن نورد
بعض الامثلة نقلا عن مجلة دليل التلفزيون عدد ٥ - ١١ مارس ١٩٧٧ .

فى شهر أغسطس الماضى عجزت وسائل الاعلام عن تغطية اجتماع رابطة
المدن القومية فى بوسطن . وقد تحدث هنرى كيسنجر فى الاجتماع
حيث استقبله الحاضرون بالسخرية لانه قال ان وزارة الخارجية تجد
صعوبة فى العثور على موظفين سود « مؤهلين » . كما كانت أمام الاجتماع
أرقام توضح أن نسبة البطالة بين السود فى المدن بلغت ٢٥ فى المائة بينما
يتعثر فرض القوانين الفيدرالية عن مناهضة التمييز العنصرى . وكانت
محطة سى بى أس هى الوحيدة التى قدمت تغطية رمزية لهذا الاجتماع .

فى ١١ نوفمبر ١٩٧٥ ذكرت لجنة الولايات المتحدة للحقوق المدنية أن

سبع وكالات حكومية لاتطبق قوانين مناهضة التمييز العنصرى ولم تشر اى من الشبكات الى ما توصلت اليه لجنة الحقوق المدنية .

فى ١٦ ابريل ١٩٧٦ كانت جميع الشبكات تستخدم العبارة المشحونة « ركوب الاوتوبيس الاجبارى » بدلا من عبارة « اوتوبيسات للقضاء على الفصل العنصرى » .

فى ٢٨ مايو ١٩٧٦ . نشرت محطة سى بى اس تقريرا عن الاوتوبيسات المدرسية بداته بالعبارة التالية : « ربما لم يصدر منذ قرار التحريم قرار دستورى كان أكثر كراهية من جانب الشعب من قرار نقل الاطفال باللاوتوبيسات الى المدارس لاحداث التوازن العنصرى » .

وبعد دقيقتين قال المعلق تشارلس كولنج وود « لقد جاءت مشكلة الاوتوبيسات ، طبقا لاستطلاع الراى أجراه معهد هاريس على النطاق القومى ، فى المرتبة السابعة والعشرين من بين الموضوعات التسعة والعشرين التى تحظى بأكثر اهتمام من جانب الناخبين فى هذه الانتخابات » . ثم مضى البرنامج ليجرى حديثا مع ١٥ من اهالى بوسطن ممن يعارضون الاوتوبيسات المشتركة ، وخمسة فقط ممن يؤيدونها . وحاول البرنامج أن يغطى على الآراء الاخرى المؤيدة للاوتوبيسات المشتركة مثل ما ذكرته احدى ربات البيوت فى بوسطن من أن مدرستين أو ثلاث مدارس فقط من بين ١٦٢ مدرسة هى التى تثير الاشكالات .

فى ٢ افسطس ١٩٧٦ قدم برنامج والتر كرونكيت تقريرا مطولا عن مواقف مرشحي الرئاسة من التضخم والبطالة . وكان جميع الخبراء الماليين الذين أجرى الحديث معهم من البيض ولم يذكر ولو مرة واحدة البطالة بين السود التى كانت تصل طبقا لوزارة العمل الى ١٣٫٩ فى المائة .

ثمة امر آخر هو أن جميع ادارات الشبكات تتكون من البيض وحدهم .

وقد القى كارلتون ب . جودلت ، رئيس التحرير الاستشارى لمجلة بلاك سكو لار ورئيس الاتحاد الوطنى لناشرى الصحف وناشر صحف سان فرانسيسكو من ريبورتر ومجموعة صحف مترو ريبورتر ، خطبا فى المؤتمر السنوى لاتحاد تعليم الصحافة فى ٢١ افسطس ١٩٧٤ بداه بالملاحظات التالية :

لقد أتينا الى هنا لا لكى نمتدح وسائل الاعلام أو ندفنها بل لكى نكشف فى الوقت القصير المسموح به أقدامنا المصنوعة من الفخار وتأمرها خلال المائة وأحد عشر عاما الماضية منذ التحرير ضد تطلعات نحو خمسين مليونا من الاقليات العنصرية وبخاصة خمسة وعشرين مليون أسود يقيمون فى

أمريكا العنصرية ولا زالوا حتى اليوم يبحثون عن صوت لهم .

ويرى جودلت أن « وسائل الاعلام المطبوعة أى الصحف اليومية الامريكية هى أشد وسائل الاعلام عنصرية » . ويستشهد على ذلك بالتنائج التى توصلت اليها دراسة قام بها ناشر الصحف الامريكية وجاء فيها أن السود يمثلون ٣٩ فى المائة فقط من مجموع العاملين فى وسائل الاعلام - الاذاعة والتلفزيون - و ١٩ فى المائة من العاملين فى صناعة الصحف « مع استثناء الصحافة السوداء » .

وتؤثر العنصرية فى وسائل الاعلام ، وبخاصة التلفزيون ، تأثيرا قاسيا على السود . فقد جاء فى دراسة للكونجرس عام ١٩٧٢ أن متوسط مشاهدة السود للتلفزيون ٢٥ ساعة أسبوعيا أى أكثر من مشاهدة البيض له تسع ساعات . « السود فى وسائل الاعلام » تقارير الابحاث التحريرية ١٦ أغسطس ١٩٧٢ . وقد جاء فى الصفحة الاولى من هذا التقرير أن : « حق الاستخدام المباشر للمواد المتضمنة فى تقارير الابحاث التحريرية مقصور تماما على عملاء الهيئة من الصحف والمجلات والاذاعة والتلفزيون . أما اذا رغب غيرهم فى الاستفادة من التقارير لغرض الاغراض الاكاديمية فعليهم أن يحصلوا على ترخيص كتابى بذلك » .

كذلك يصور النساء بصورة مهينة فى التلفزيون كما ورد فى مقال مجلة ساترداى ريفيو بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٧٥ اذ قالت :

لا يحتاج المرء ان يكون من أنصار المرأة لكى يشعر بالاشمئزاز من معاملة التلفزيون المهينة للنساء . . فالنساء غالبا ما يصورون على أنهم أدوات ترفيه أو بطلات يتسمن بالجنون لمواقف كوميدية . وفى الاعلانات التجارية غالبا ما يظهرن على أنهم دمي يتعلقن بأزواجهن أو مانكيانات تافهات . وهذه شكوى ليست جديدة . ذلك أن الاستعراض الذى جرى فى عام ١٩٧٢ . ونشرته مجلة جورنال أوف برود كاستنج حلل ٩٨٦ من الاعلانات التجارية فى فترة المساء المبكرة وخلص منها الى أن النساء نادرا ما يظهرن الا على أنهم ربات بيوت أو شخصيات غير متزنة .

التشويه السياسى :

تعمل وسائل الاعلام على تشويه الاحداث لكى تلائم مصلحة الامبريالية يسجل دافيد هاليز ستام محاولة وسائل الاعلام للتغطية على حدث هائل مثل حادث ووترجيت فيقول : « كانت ووترجيت قصة محكمة ، سرية أكثر منها علنية » .

وفيما يتعلق ببرامج مكتب التحقيقات الفيدرالي يجد دافيد و . رنتلز وهو كاتب تليفزيوني ورئيس لجنة الرقابة باتحاد كتاب أمريكا ، انه بالنسبة لبرنامج « مكتب التحقيقات الفيدرالي »

« لم يحدث ان كان هناك برنامج عن أى جانب من جوانب انتهـاك الحقوق المدنية لاية اقلية ، ولم يصور احد عملاء المكتب وهو يضع اجهزة التسجيل فى أحد المنازل أو يتصنت على تليفون أو يرشو مخبراً أجيراً ، كما لايسمح لاي كاتب بأن يشير الى وقوع هذه الاعمال » .
وبنفس الطريقة عولجت الفضائـع التى ارتكبت فى حرب فيتنام . والمثال على ذلك « وهناك بالطبع كثير من الامثلة يمكن الاستشهاد بها » احجام جميع شبكات التليفزيون احجاماً تاماً عن تغطية تعبئة ١٥ نوفمبر ١٩٦٩ المناهضة للحرب فى واشنطن والمظاهرات من أجل السلام بصفة عامة — وقد عكس ذلك نجاح محاولات نيكسون — اجينو للحد من تغطية الانباء وفرض الرقابة عليها .

الحزب الشيوعى :

لم تكن التعمية فى اى مجال اوقع منها فى مجال معالجة وسائل الاعلام للحزب الشيوعى والحركة التقدمية . ومن الوسائل الفعالة فى هذا الصدد الارتفاع الباهظ فى تكلفة البرامج التليفزيونية . ففي عام ١٩٧٣ تراوحت تكلفة انتاج « دخان البندقية » أو « كولومبو » أو « ماركوس ولبلى » بين مائتين ومائتين وخمسة وعشرين ألف دولار ، ولم تكن هذه اعلى برامج التليفزيون تكلفة .

وفى عامى ١٩٧١ و ١٩٧٢ كان شراء دقيقتين ونصف دقيقة — الاعلانات فى برامج شعبية مثل « دخان البندقية » و « المعجوزان » لموسم استمر اكثر من ١٣ اسبوعاً يتكلف بسهولة مايزيد على مليون دولار . وكانت تكلفة اعلان لمدة ثلاثين ثانية تتراوح بين ١٧ ألف دولار فى الصيف و ٦٤ ألف دولار فى الشتاء .

واليوم تتكلف دقيقة واحدة من الاعلان فى وقت المساء المكر ما يصل الى مائة ألف دولار .

وعلى الرغم من الرأى القانونى المعاكس ، بما فى ذلك مبدأ العدالة والمادة الخاصة بتكافؤ الغرض من القسم ٣١٥ من قانون المواصلات لعام ١٩٣٤ ، فان الحزب الشيوعى محروم من النفاذ الى وسائل الاعلام .

التعديل الاول :

قام جيرومى ا . بارون ، أستاذ القانون بجامعة جورج واشنطن ، بعمل

رائد عندما طرح أمام المحاكم قضية حرية الوصول الى وسائل الاعلام على أساس التعديل الاول .

وقد ذكر البروفيسور بارون أن ماورد في التعديل الاول من ضمانات لحرية الخطابة والصحافة تصبح مجردة من المعنى في عصر وسائل الاعلام الجماهيرية ما لم يكن هناك منفذ للجهمور الى « المحطات الكبرى للرأى العام وهي الاذاعة والتلفزيون والصحافة » . لكن بارون يقول انه نظرا للتغيرات التكنولوجية غير العادية التي حدثت في مجال الاتصالات فقد اصبحت ملكية الصحف - وماينجم عن ذلك من تحكم في المادة التي تختارها للنشر أو الاذاعة - مقصورة على عدد صغير جدا من الافراد الاثرياء . وقد سمى بارون هذا الرقابة فردية التي لا تقل احباطا لحرية تدفق الافكار من الرقابة الحكومية .

في عدد يونيو ١٩٦٧ من « مجلة هارفارد للقانون » كتب بارون يقول :

« ان المطلوب هو تفسير للتعديل الاول يركز على فكرة أن كف يد الحكومة يصبح لا معنى له على الاطلاق في ضمان حرية الحديث اذا فرضت قيود على الوصول الى وسائل الاعلام بواسطة المجموعات الخاصة . ان الحظر الدستوري على فرض قيود حكومية على حرية التعبير تصبح غير فعالة ما لم يضمن الدستور فرصة متكافئة للنقاش . ولما كانت هذه الفرصة لا توجد الا في وسائل الاعلام فان مصالح أولئك الذين يسيطرون على وسائل الاتصال الجماهيرى لابد وأن تتوافق مع مصالح أولئك الذين يبحثون عن منبر يعبرون فيه عن وجهة نظرهم » .

وفي صيف عام ١٩٧٠ أعد بارون مشروع قانون بشأن حق الوصول الى وسائل الاعلام قلعه الى مجلس النواب النائب ميشيل فيغان بوصفه قانون حماية الحقيقة . غير أن هذا المشروع لم يطرح للتصويت مطلقا .

ان هذا المقال لم يتناول سوى مجموعة مختارة ، وليست بحال من الاحوال شاملة ، من المشكلات التي تتعلق بالسيطرة الرأسمالية الاحتكارية على وسائل الاعلام . ومع ذلك فاننا نرجو أن تكون قد أوضحنا ضرورة وامكانية الوقوف في وجه هذه السيطرة . ان الحل الكامل لهذه المشكلة يتطلب ملكية وتشغيل وسائل الاعلام بصورة ديمقراطية عامة ، وهو في نهاية الامر يتطلب تحقيق الاشتراكية .

ويقع على عاتق الصحافة الشيوعية واليسارية والنقابية والسوداء دور كبير سواء في الحاضر أو المستقبل في الكفاح من أجل مقرطة وسائل الاعلام . لكن هذا الموضوع يخرج عن نطاق هذا المقال .



سياسة خارجية

الموقف من معاهدة بنما

بقلم : روبن داريو سوزا

حدث توقيع المعاهدات حول مستقبل قناة بنما في سبتمبر ١٩٧٧ اصداء دولية متباينة وتناقضت التقارير حول نتائج المحادثات في جولتها الختامية . فبينما لقيت المعاهدات الجديدة معارضة عنيفة من جانب الدوائر الأكثر رجعية في الولايات المتحدة ، فانها لقيت التأييد من جانب الرئيس كارتر . وبينما شهد مراسم توقيع المعاهدات في واشنطن الرئيس (كارلوس اندريز بيريز) من فنزويلا والكتاب الكولومبي الشهير (جابريل جارسيا ماركيز) من ناحية ، فقد شهدا من الناحية الأخرى القاتل «بينوشيت» والحاكم المستبد لجواتيمالا (أوجيرو) ، وبينما أبدت المعاهدات كوبا وفيتنام وجمهورية كوريا الديمقراطية فانها تعرضت لهجمات مباشرة من جانب اليساريين الذين ادعوا أن المعاهدات ماهي الا نوع من أنواع التسليم . وقد أدى هذا كله وغيره الى توجيه الاهتمام لنتائج المفاوضات المطولة بين بنما والولايات المتحدة . وفي هذه الظروف المعقدة حظي الاستفتاء الوطني الذي أجري في بنما في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٧ والذي صوت فيه الغالبية العظمى من شمسبنا الى جانب المعاهدات الجديدة باهتمام بالغ .

وقد أثار توقيع المعاهدات السؤال التالي : من هو الجانب الذى كسب أكثر من هذه المعاهدات ؟ • ولكي نجيب على هذا السؤال لابد لنا أن نذكر ما الذى كان يعنيه الامتلاك الدائم للولايات المتحدة لقناة بنما لكل جانب من الجانبين •

تقع منطقة القناة « ١٦٤ كم ٢ » تحت السيطرة العسكرية - الاقتصادية الأمريكية (١) ، وهى تتوسط أراضى جمهورية بنما • ويعنى هذا أن شعب بنما محروم من الاستقلال الكامل • ويشكل وجود هذه المستعمرة أحد الأسباب الرئيسية للعداء بين شعب بنما الذى يحاول بكل قوته ممارسة حقه فى تقرير المصير والامبريالية الأمريكية • ويعتبر الوطنيون فى بنما أن منطقة القناة تمثل العائق الأخير فى طريق وحدة أراضى البلاد ووحدتها السياسية •

أما بالنسبة لحكومة الولايات المتحدة التى تمثل مصالح الاحتكارات فإن منطقة القناة تعتبر وسيلة للتحكم فى مرور السفن بين المحيط الباسيفيكي والاطلنطي • وقد مكنت ملكية القناة الولايات المتحدة من توسيع تجارتها الخارجية وتقريب المسافة بين انتاجها القومى ومصادر المواد الخام فى البلدان التابعة والاسراع بدورة السلع الأمريكية فى السوق الدولية • وإلى جانب هذا تمكنت الولايات المتحدة بواسطة ملكيتها لمنطقة القناة من السيطرة على قسم كبير من المواصلات بين المحيطين وادخال هذا الموقع الاستراتيجي فى اطار المخططات العسكرية للامبريالية الأمريكية على النطاق العالمى والمحافظة على قبضتها القوية فى أمريكا اللاتينية •

وفى المحادثات التى بدأت بعد الهبة الشعبية فى ٩ يناير ١٩٦٤ والتى انتهت بعد ١٣ عاما كان تعارض المصالح بين شعب بنما والامبريالية الأمريكية هى القضية الأساسية والجوهر •

وفى ظل المعاهدات الجديدة تمتلك جمهورية بنما منطقة القناة • وبكلمات أخرى فإن الولايات المتحدة قد اضطرت الى الاعتراف بسيادة دولة بنما على القناة • ولكن نستطيع أن ندرك الأهمية الكاملة للوضع الحالى لمنطقة القناة كما تحدده معاهدة ١٩٠٣ ، فإن هذه المعاهدة تعطى للحكومة الأمريكية سلطات « ممتدة » على المنطقة الملحقة بالقناة ترقى الى مستوى السيادة عليها • وبكلمات أخرى تحتفظ الولايات المتحدة بالسيادة القانونية والتشريعية على هذه المستعمرة التى أصبح وجودها فى قلب بنما عائقا فى طريق تطورها •

وإذا وضعنا فى الاعتبار ان الولايات المتحدة قد وافقت على تصفية هذا الكيان

(١) وفقا لمعاهدة ١٨ نوفمبر ١٩٠٣ التى فرضت على بنما حصلت الولايات المتحدة على حق بناء وتشغيل القناة فى منطقة تبلغ مساحتها ١٦ كم تمر بجميع أراضى بنما ، وكذلك استخدام قواتها المسلحة لحماية القناة ومنشأتها •

الاستعماري فانه يتضح بما لا يدع مجالا للشك بأن المعاهدات تخدم مصالح الشعب في بنما وتفتح الطريق أمام عملية اكمال التوحيد السياسي ووحدة اراضي بنما . ومع ذلك لا يمكن اعتبار هذا النجاح نجاحاً كاملاً . ومن ثم فان النضال لتحرير بنما الذي ابتدأ منذ سنوات طويلة لابد من مواصلة حتى النهاية . فبينما يؤدي تصفية هذه المستعمرة الى استعادة الوحدة التاريخية لاراضي بنما الا أن هذا الوضع الجديد لا يرقى الى مستوى الاستقلال الوطني الكامل وذلك يرجع الى استمرار البلاد هدفاً للاستغلال الاقتصادي للاحتكارات الامريكية التي لاتزال تنهب الموارد الطبيعية للبلاد .

والى جانب هذا فان انتهاء وضع هذه المستعمرة لن يتم فوراً . فوفقاً للمعاهدات الجديدة فانه يتعين علينا أن ننتظر ٢٣ عاماً آخر « حتى عام ١٩٩٩ » لكي نمتلك القناة التي سيتم نقلها الى بنما ، ولكي يترك أرضنا آخر جندي اجنبي . وهكذا فانه بالرغم من أن المعاهدات الجديدة تغير على الفور من وضع منطقة القناة الا أن القناة نفسها ستظل ملكاً للولايات المتحدة وستتم ادارتها بواسطة ما يسمى بـ « لجنة القناة » . فضلاً عن ذلك ، فان الولايات المتحدة وفواتها المسلحة ستظل تحتفظ بـ ٥ قواعد عسكرية من بين الـ ١٤ قاعدة الموجودة الان في منطقة القناة حتى نهاية هذا القرن . وعندما يبدأ سريان المعاهدات ستحصل حكومة بنما على ملكية ٧٠٪ من مساحة « منطقة القناة » وستحصل على السيادة التشريعية والقانونية على المنطقة بكاملها في خلال السنوات الخمس التالية . ولكن حتى في هذه الحالة فان « لجنة القناة » ستحتفظ لنفسها ببعض الصلاحيات التشريعية والقانونية على ممتلكات القناة والامريكيين العاملين في هذا الممر المائي .

وتحد « المعاهد » المبرمة حول « الحياد » من حق شعب بنما في اعلان حياد القناة ، وهو قيد لاشك من آثار العصر الاستعماري . وقد سعت الحكومة الامريكية الى تضمين المعاهدة فقرة تنص على دورها « كشريك ضامن » . وحق الولايات المتحدة في حرية الملاحة في القناة فيما يتعلق بسفنها الحربية والسفن المساعدة . ويبدو واضحاً أن هذه الفقرة تتناقض مع المعاهدة التي تقرر إلغاء ملكية الولايات المتحدة للقناة .

ولا يعنى الاتفاق الذي توصلت اليه حكومتى الولايات المتحدة وبنما تضعيف المستعمرة بل النزع التدريجي لسلحها . وهذا هو الاسلوب الذي يستخدمه الامبرياليون في التخلص عن الاشكال البالية في العلاقات مع البلدان المهضومة واحلالها بأشكال أخرى أكثر قبلاً في الظروف الحالية بينما لاتنال من مصالحها الاساسية . وعلى ذلك سيكون من الخطأ اعتبار توقيع المعاهدات الجديدة مناوره داهية من جانب الامبريالية الامريكية وليس انتصاراً لشعب بنما .

لاشك أن تصفية « منطقة القناة » يؤثر على مصالح الاحتكارات الامريكية التي وطلت جذورها في هذه المستعمرة والتي استنامت الى هذا الوضع لدرجة أن

فكرة حدوث أى تغيير فى وضعها هذا لم تعد تخطر لها على بال أحد اطلاقا . ومنذ سنوات قليلة لم يكن من المتصور أن توافق الحكومة الأمريكية على التخلي عن معاهدة ١٩٠٣ وإحلال معاهدة جديدة تلغى المادة التى تنص على ملكيتها للمستعمرة . ومن ثم فإن اضطراب الولايات المتحدة الى التفاوض مع حكومة بنما انتصارا لبنما وتوجبا للهبة الشعبية ضد الجيش الأمريكى فى يناير عام ١٩٦٤ .

وعلى مدار سنوات عشر من المفاوضات اقترحت الولايات ثلاث مشاريع معاهدات مليئة بالقيود تم رفضها بفضل مقاومة شعب بنما والموقف الحازم الذى اتخذته الحكومة الوطنية للجنرال « عمر توريجوس » . واستؤنفت المفاوضات فى عام ١٩٧٤ ولكن على أسس جديدة . ولأول مرة وافقت الحكومة الأمريكية على مناقشة المطلب الأساسى لبنما : عودة « منطقة القناة » والقناة نفسها لجمهورية بنما المالك الحقيقى . ويعتبر هذا مكسبا آخر حصلت عليه بنما بإجماع المعاهدات فى عام ١٩٧٧ .

والحقيقة أن المعاهدات الجديدة رغم أنها لم تضع حدا نهائيا للقهر الا أن إبرامها سيساعد بصورة فعالة الشعب فى بنما على مواصلة نضاله من أجل الاستقلال الكامل . ولهذا يرمز ههنا النصر الاستراتيجى لنا الى الهزيمة الاستراتيجية للامبريالية رغم الطابع الاستعمارى الجديد الذى حاولت الولايات المتحدة اضافته على المعاهدات الجديدة . والحقيقة التاريخية التى لا مرأف فيها أن المستعمرة الموجودة فى « منطقة القناة » سائرة الى الزوال ، وأننا نتحرك قدما نحو اكمال عملية التحرر الوطنى فى بنما رغم العقبات الكبيرة التى مازالت تنتظرنا .

اننا نعيش فى عصر انهيار الامبريالية . وتزداد مراكزها ضعفا بعد أن تلقت الهزيمة الاستراتيجية تلو الهزيمة فى أجزاء عديدة من العالم ويشهد على ذلك تفسخ النظام الاستعمارى .

ويجدر بنا أن نشير فى هذا المجال الى أن المصاعب التى تواجهها الامبريالية الان لاتتبع فقط من أزماتها الداخلية التى تنخر فى كيانها ولكنها نابعة أيضا من الضربات الساحقة للقوى التقدمية التى تزداد قوة فى جميع أنحاء العالم والتى تحفزها فى المحل الاول أسرة البلدان الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفيتى وثورة أكتوبر العظمى التى أثارَت الطريق أمام النضال المظفر التحريرى الوطنى والاجتماعى . وتلعب الحركة الثورية العالمية وكافة القوى المعادية للامبريالية على سطح الكرة الارضية الدور الأساسى فى اضعاف مراكز الامبريالية . فلم تعد للامبريالية فى الظروف التاريخية الجديدة أية أرض صلبة تقف عليها ، بل تحولت هذه الأرض الى مايشبه الرمال المتحركة .

وأصبحت الامبريالية تواجه الثورات في مختلف القارات . ولم تعد أمريكا اللاتينية تلك الضيقة الطيبة والسهلة القيادة التي يمكنها الاعتماد عليها . ويشهد هذا الجزء من الكرة الأرضية حركات تحرر وطني وتحركات اجتماعية تناهض جشع وقهر الاحتكارات الامريكية .

وعلى المرء أن يقيم عملية تصفية « منطقة القناة » في اطار هذا الوضع التاريخي ، وأن الحركة القوية المعادية للاستعمار في بلادنا التي ضمت الغالبية الساحقة من الشعب مع الحكومة قد أجبرت الولايات المتحدة على الموافقة على انهاء وضع هذه المستعمرة وخاصة بعد الهزائم الكبيرة التي منيت بها تلك القوى التي تسعى الى حماية مصالحها بالوسائل الاستعمارية ، وهي بالتحديد تلك القوى التي عارضت السلام في فيتنام والتي خططت لقلب حكومة «الليندي» في شيلي ، وأيدت الجرائم المشينة للمخابرات المركزية ونسفت مفاهيم هلسنكي حول الانفراج والتي تشجع التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا والصهيونية في الشرق الاوسط والتي تصر على فرض الحصار على كوبا . لقد ضربت هذه القوى بواسطة فضيحة ووترجيت والتحقيقات في سلوك الرئيس السابق نيكسون ونائبه آجنيو ثم استقالتهما في اثر ذلك . وقد أصاب كل هذا هيبة الحكومة والمؤسسات السياسية بضرر خطير . وقد عانت نفس هذه القوى من الهزيمة في انتخابات الرئاسة الاخيرة بالولايات المتحدة . وأدت أيضا هذه الهزيمة الى انهيار فكرة الحفاظ على الحكم الاستعماري على « منطقة القناة » .

ويعكس موقف كاوتر من قضية « منطقة القناة » الاتجاه الواقعي لبعض الدوائر الامريكية ازاء المشاكل التي تسبب الصراع العدائي في عالم اليوم . وترى هذه الدوائر منطقية الاتفاق الذي أبرم مع الجنرال توريجوس : فلم تعد الولايات المتحدة قادرة على فرض وجود هذه المستعمرة علينا ولكنها لا تستطيع أن تتخلل أيضا عن مصالحها الاساسية في بنما (١)

أما بالنسبة لبنما فقد استقبل الاتفاق حول تصفية الوضع الاستعماري « لمنطقة القناة » بالرضاء من قبل الاغلبية الواسعة في البلاد وحظيت بالتأييد الشعبي الحقيقي .

(١) وفقا لما أورده التقارير الصحفية فانه قد تم اكتشاف مؤامرة معادية للحكومة بواسطة أجهزة الامن في البلاد . وكانت المؤامرة تستهدف قتل « عمر توريجوس » رئيس الحكومة . واظهرت التحقيقات ان المؤامرة قد تم التخطيط لها من قبل المخابرات المركزية في ميامي . وكانت المؤامرة تلتخص في الاعتداء عليه اثناء احد جولاته في البلاد . وكان فريق المتمردين يضم ف . فيوريني احد عملاء المخابرات المركزية ، و ل . مارتينز احد الضباط الامريكيين في منطقة قناة بنما واخوه ب . مارتينز ، و ا . ارباس الرئيس السابق ، ومجموعة من الكوبيين المناهضين للثورة في الفرقة رقم ٢٥٠٦ والذين تلقوا تدريباً خاصاً في الولايات المتحدة على القيام بعمليات تخريبية وارهابية - المحرر .

وقد تميزت السنوات القليلة الماضية بتحريك حكومة توريجوس نحو اتخاذ خطوات تقدمية متواصلة . فبالإضافة الى تحركات الحكومة في مضمار النضال المعادى للاستعمار ، فانها أدخلت تحولات هامة في البلاد . ويشهد على الاتجاه الواضح للحكومة لاتخاذ موقف راديكالى معادى للامبريالية والاقدام على تحولات اجتماعية عميقة التحولات الديموقراطية في الهيكل الزراعى ، مساندة التعاونيات انشاء وتطوير قطاع حكومى . التأميمات رغم دفع التعويضات للاحتكارات الامريكية ، التدابير الهامة في مجال الصحة العامة والتعليم ، السياسة الخارجية الهادفة الى العمل المشترك مع العالم الثالث وعلاقات أوثق مع البلدان الاشتراكية ، والوقوف بحزم بجانب السلام ، وكذلك النضال ضد التمييز العنصرى .

ومن ثم فان عملية تخليص بلادنا من الاستعمار مرتبطة بالتطور السياسى فى الداخل والذي يتميز بالراديكالية في النضال الوطنى التحريرى .

وبكلمات اخرى فان نجاحات البلاد المرتبطة بالمعاهدات الجديدة تخدم الاتجاهات المعادية للامبريالية لحكومة توريجوس وجميع القوى التقدمية والثورية التى تساندنها فى تنفيذ البرنامج الوطنى - الديموقراطى .

وتمثل الثروة التى ستعود الى البلاد باسترداد « منطقة القناة » أهمية كبرى لمستقبل التطور فى البلاد ، فهى تقدر بـ ١٠ بلايين من الدولارات . فاذا تحولت هذه الثروة ، بما فيها الاراضى ، الى ملكية الدولة فان هذا سيخلق الاساس الحاسم لتطوير بنما فى الطريق الراسمالى . ولاشك أن هذا أحد أهداف النضال فى المستقبل القريب .

وبلا جدال فان هذا يتطلب من القوى المعادية للامبريالية فى بنما أن ترتقى بمستوى نضالهم السياسى والتنظيمى الى مستوى كفى أعلى حتى تستطيع انجاز المهام المطروحة امامها : احباط محاولات الاستعمار الجديد فى التغفلل وتوسع الراسمالية المحلية ، والعمل من أجل التحرر الوطنى الكامل . وتحقيق هذا فان الامر يتطلب توسيع وتقوية السلطة الشعبية ، ومواصلة سياسة حازمة لتحويل ملكية قناة بنما الى الدولة ، واصدار قانون يقنن التغيرات فى الهيكل

الزراعى ، وتعميق برنامج التحولات الاجتماعية • اما فى المجال الدولى فتبرز الحاجة الى تقوية صلاتنا بالبلدان الاشتراكية وتطوير علاقاتنا مع بلدان العالم الثالث التقدمية • اما فى مجال تمويل الاقتصاد فتبرز الحاجة الى انهاء «الوحاية» الامريكية •

ويمكن للبلاد ان تتطور فى هذا المسار اذا تسلحت حركة التحرر الوطنى الحالية فى بنما ببرنامج صريح للتحرر الوطنى • وقد أصبحت الظروف ناضجة لتكوين احزاب سياسية تمثل الاتجاهات الاساسية المعادية للامبريالية والتي تشارك فى عملية تخليص البلاد من الاستعمار • « ولا يعنى هذا على الاطلاق احياء احزاب الاوليغاركية القديمة واعادة المراكز الاوليغاركية السابقة » •

وفى وسع هذه الاحزاب ان تكون الاساس لتشكيل جبهة سياسية معادية للامبريالية ذات برنامج متكامل لتحقيق التحرر الوطنى واقامة سلطة شعبية حقة تكون مهمتها تحقيق التحرير الكامل للبلاد والقضاء انسريع على بقايا الحكم الامبريالى التى سيستمر وجودها فى ظل المعاهدات الجديدة •

ومما لا جدال فيه ، ان النضال للتحرر الكامل سيستمر حتى بعد القضاء على الوضع الاستعمارى فى « منطقة القناة » •



التعليم العالي في ظل الاشتراكية

بقلم : يادامى لها مسورين
كارلوس انافيتارتا
فيتالى موييف

● الرسالة الاولى :

لا تستطيع الجامعات اليوم أن تشكو من قلة الحديث عنها ، وان كان أكثر ما ينشر منها كتابات انتقادية • ففى مدن العالم الرأسمالية الرئيسية حيث أسست الكليات الاولى منذ ثمانمائة أو تسعمائة عام ، كثيرا ما تجد الجامعات نفسها تحت النيران من كلا الجانبين • فاليمين يتهمها بخيانة التقاليد القديمة ، وتقويض النظام القائم ، وإثارة الاضطراب والتمرد الطلابي الواسع ، فى حين يتهمها اليسار بأنها متخلفة عن الزمن ، وأنها تقاوم الإصلاح الديمقراطي • ولبلدان العالم الاشتراكي أيضا قضاياها ومتاعبها فى مجال التعليم العالى ، وان تكن من نوع مختلف •

وقد أثارت هذه الخلفية اهتمامنا بأداء المهمة التي كلفتنا بها مجلة قضايا السلم والاشتراكية لدراسة التعليم العالي في ثلاث بلدان اشتراكية هي : بلغاريا ورومانيا وبولندا . وكان على الدراسة التي نقوم بها أن تشمل سياسة الأحزاب الشيوعية في هذا المجال ، والقضايا والاتجاهات الراهنة ، وأية تجارب بدأت هناك . وكانت لكل منا صلة بالتعليم العالي في هذا الوقت أو ذاك . فأحدنا عمل في إدارة التعليم العالي في منغوليا ، وعمل الآخر أستاذا طيلة ثلاثين عاما ، وترأس قسما جامعيًا في يرو ، ودرس الثالث في جامعة موسكو . وقد حاولنا أن نستخدم هذه المعرفة السابقة ، وأن نكتشف أيضا شيئا جديدا .

إن البلدان الاشتراكية تأخذ التعليم العالي مأخذ الجد ، فتطوره مخططا . ويجرى قدر كبير من البحث فيما يتعلق باحتياجاته وقضاياها . ونستطيع أن نرى هذا من المساحة الواسعة التي تخصص له في الصحف العامة والمتخصصة . وقد استخدمنا هذه المادة أيضا . ومن هنا فإن دراستنا لا تزعم لنفسها الاصلية والابتكار ، فكل ما حاولنا أن نفعله هو أن نعرض بعض انطباعاتنا المباشرة عن وضع التعليم العالي في البلدان الاشتراكية ، وأن نصور حياة المدارس العليا وحركتها بوضوح ما يمكن .

● أهو مازق ؟

بدأنا بزيارة لصوفيا ، ومن هنا يبدأ تقريرنا ، وبخاصة لأن النقطة التي بدأنا منها كانت هي - حرفيا تقريبا - درجات سلم جامعة صوفيا .

والشباب - وبخاصة الطلاب - متعجلون عادة ، إن شعورهم تتطاير خلفهم ، وحائثهم فوق أكتافهم ، ولوحاتهم تحت أذرعهم ، وهم يندفعون - شبابا وفتيات - فوق سلم الجامعة الرئيسى الذى يتسع كالمروحة فوق مفترق طرق مزدحم . وكانت تلك هي النقطة التى استرعت انتباهنا . إن المروحة تضيق عند القمة ، ففي صيف عام ١٩٧٦ تقدم ٦٥٠٠ للقبول فى الجامعة ، ولكن بعد امتحانات القبول لم يعبر الباب الذى يعلو السلم سوى ١٨٠٠ طالب .

المنافسة ! إن أيام امتحانات القبول فى الصيف فترة خلق للشباب وعائلاتهم وللمسؤولين عن التعليم فى البلدان التى زرناها .

وفى الساعة الثامنة تماما صباح اليوم الاول يفتح مظلوف مقلق بالشئمع الاحمر أمام لجنة للدولة ، ويقوم واحد ممن يؤدون الامتحان بسحب مجموعة

من الاسئلة التي يحويها المظروف ليكون على كل المتقدمين للامتحان في هذه اليوم أن يجيبوا عنها . وتعلن الاسئلة بالمذيع حتى تصل الى مراكز الامتحان -الآخرى .

ووصف الدكتور ت . خريستوف نائب مدير جامعة صوفيا العملية بأسرها . وكان في وسعنا أن نتصور مدى توتر هذه الساعات الاربع في قاعات الامتحان الهادئة قبل أن يجمع المراقبون المظاريف المغلقة (وتظل كل أوراق الاجابة بدون اسم) وقبل أن يراجع كل ورقة على حدة اثنان أو ثلاثة من المتخصصين ، وتقدر الدرجات ، ثم ترفع الستارة أخيرا بالسعادة للبعض وخيبة الامل للبعض الآخر .

ماذا يمكن أن نستخلص من هذا كله ؟ ربما لم يكن نظام التعليم العالي فيه البلدان الاشتراكية كافيا ؟ ربما كان يواجه مازقا ؟ هذا ما تشير اليه دائما الدعاية البرجوازية في الوقت الذي تندق فيه المديح على نظام التعليم العالي لديها لطابعه « المفتوح » و « الديمقراطي » . لكن واحدا على الاقل كان يعرفه القيمة الحقيقية لهذه المزايم من خبرته الذاتية ، انها مزايم لا تثبت أمام أى اختبار جدى .

فمن الحقائق المعروفة أن كثيرا من الجامعات خارج العالم الاشتراكي لا تجرى امتحانات قبول . ومن الناحية الرسمية يستطيع أى شخص أن يلتحق بها ، ولكن كثيرا ماتكون الرسوم العالية هي العامل الحاسم ، الأمر الذى يعنى أن القبول لا يتوقف على نوعية التدريب الذى تلقاه فى المدرسة ، ولا على قدرته وانما على الدخل فى المقام الاول . فأية ديمقراطية ، وأية مساواة اجتماعية يمكن أن توجد فى مثل هذه الظروف ؟

وتبين احصاءات العالم الراسملى انخفاض ملحوظا فى عدد من يحاولون الالتحاق بالتعليم العالي ، فقد انخفض عدد التلاميذ الامريكيين الذين يدخلون الجامعات من ٦٣٪ فى عام ١٩٦٧ الى ٤٩٪ عام ١٩٧٤ . ولا عجب فى ذلك ، فالنسب يفتكرون فى مستقبلهم ، وما يثير قلقهم ليس المنافسة على القبول وانما المنافسة الحقيقية التى تبدأ بعد ذلك ، حين يبدأ الخريجون البحث عن عمل فى المهنة التى اختاروها ، ولا يكون أمام الكثير منهم خيار الانضمام الى صفوف « المتعلمين العاطلين » . وتبين الانباء التى تنشرها الصحف أن هذه مسألة حادة . وقد أوجزها طلاب كلية للمعلمين فى جلاسجو حين كتبوا فوق جدران مبنى كليتهم « كلية جوردانهيل للعاطلين » . وتشير التقارير الى أن

خمسـة من الخريجين سيتنافسون على كل فرصة عمل تتطلب تعليما عاليا في الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ ، فلا عجب أن يتحدث الناس عن الدرجة الجامعية في هذه الايام وكأنها ورقة يانصيب مرتفعة الثمن .

أما في ظروف الاشتراكية فالتعليم العالي يقوم على أسس مختلفة . ولديهم بالطبع قضاياهم الخاصة الكثيرة - ونأمل أن نحدث القارئ عنها في هذا المقال - لكن التعليم العالي في هذه البلدان هو في المقام الاول تعليم مجاني ، ومن هنا فإن مستقبل الشخص لا يتوقف بالدرجة الاولى على وضعه المالى بل على قدرته ورغبته في الدراسة . وثانيا ففي كل بلد زرناء يتاح لكل خريج العمل في المهنة التى اختارها . وهذا حق يكفله القانون ، ويوفر له منذ التحاقه بالكلية ، اذ يحسب عدد من يقبلون على أساس خطة عامة تأخذ فى اعتبارها كل احتياجات البلاد من مختلف المهن . وهكذا فإن المنافسة التى اشرفنا اليها من قبل لا تشير الى « مازق » وإنما الى تعطش الجيل الجديد الى المعرفة ، وتلك ظاهرة جديدة ذات أهمية بالغة فى نظرنا .

ومن المعروف أن البلدان التى زرنائها كانت متخلفة عن أوروبا فى مجال التعليم منذ ثلاثين عاما فقط . وعلى سبيل المثال كانت نسبة الأمية فى رومانيا ٣٠٪ ، لكن من المعروف أيضا أن الحكومات الشقيقة فى تلك البلدان كان عليها أن تبذل جهدا هائلا لرفع المستوى الثقافى . وتطبق بلغاريا وبولندا ورومانيا وعدد من البلدان الاشتراكية الأخرى اليوم نظام التعليم الثانوى العام الاجبارى . وقد أعطت الثورة الثقافية ، ونشر المعرفة ، وكل العمل التربوى للحزب الشيوعية والعمالية والحكومات الشعبية - نتائج لم تتحقق فى أى مكان خارج حدود الاسرة الاشتراكية ، نتائج نستطيع أن نعزبها . وخلق هذا وضعاً جديدا تماما من زاوية التعليم العالي : فكل انسان تقريبا صاحب حق فى الحصول على مكان فى الكلية ، فالملتحقون المحتملون هم عمليا جمهوره الشباب الذين يدخلون الحياة لتوهم .

ويعنى هذا أن التعليم العالي ليس « عاليا » فحسب لكنه يصبح أوسع بكثير . وإذا كان ثمة خطر فيما مضى أن يفقد هذا التعليم شابا موهوبا لم يتمكن من الحصول على تعليمه الثانوى ، فإن كل مواهب البلاد الآن تحت تصرفه . لكن ثمة قضايا أخرى تتور ، وعلى سبيل المثال ماذا ينبغى أن يكون عليه « ناتج » مؤسسات التعليم العالي اليوم ؟ وكيف يمكن أن يقاس ؟ وما هو الهدف الأمثل ؟ ان كل الشباب تقريبا يريدون تعليما عاليا . لكن أحدا فى مرحلة المجتمع الاشتراكى الناضج لا يطرح مهمة « الانتقال الى التعليم العالي الشامل » . واذن فلا بد أن يتم اختيار ، وهنا تتور المسألة الاجتماعية الهامة ،

مسألة كيف تكفل فرصا متكافئة متناسبة للقبول لكل طبقات السكان وفئاتهم ومراتبهم ؟

● الأسرة والمدرسة والجيل الجديد :

من القواعد المطبقة في بولندا أن الفائز في « أولمبياد » (١) طلاب المدارس في المحافظات وأفضل ثلاثة طلاب في كل مدرسة ثانوية يقبلون في مؤسسات التعليم العالي دون امتحانات قبول . وقد بلغ عددهم عام ١٩٧٦ نحو ربع المتحقين بكلية الكيمياء في جامعة وارسو . وقد سألنا البروفيسور ج. روبل عن التركيب الاجتماعي لهذه المجموعة . ان نلتى فئة أفضل التلاميذ (٦٦٪) ينحدرون من عائلات عمالية فلاحية . ومن الناحية الأخرى كانت نفس النسبة تقريبا بين الطلاب الذين قبلوا على أساس الأولمبياد (٦٧٪) من أبناء المثقفين . ولهذا الفارق دلالة . فمن الواضح أن أبناء العائلات العمالية والفلاحية لا يتمتعون من حيث النتائج العامة في المدرسة . وقد يكون هذا راجعا الى دروس الدأب والصبر والاصرار التي يستوعبونها في بيوتهم ، ومن الناحية الأخرى تشكل بعض الاهتمامات مبكرا في جو العائلة المثقفة ، وتطور التفصيلات والميول بنشاط أكبر . ويكون لهذا أيضا تأثيرا فيما بعد في الكلية ، « فأفضل التلاميذ » السابقون يحققون تقريبا نفس التقدم الذي يحققه غيرهم من الطلاب ، الا أن بعضهم يقرر تغيير موضوع دراسته وينتقل الى كليات أخرى ، أما « فائزو الأولمبياد » السابقون ، فيظلون يحققون نتائج أعلى من المتوسط ، وهم عموما لا يغيرون اختيارهم الاصيل .

ماذا يعنى هذا كله ؟ ان الاشتراكية تلغى عدم التكافؤ الطبقي ، وبنية المجتمع الاشتراكي تتغير بشتات نحو التجانس الاجتماعي . ومن الناحية الأخرى ، لازالت هناك فوارق طبقية ، ولا زالت توجد بعض السمات المتعلقة بانحدار طفل معين من عائلة عمالية أو فلاحية أو خلفية من المثقفين أو فئة أخرى . وهكذا فإن على المجتمع الاشتراكي أن يجد بعض الوسائل الإضافية لتعويض الفارق بين التربية المدرسية والمنزلية ، والا تطور عدم التناسب في التركيب الاجتماعي للطلاب في المرحلة التالية بعد التعليم الثانوي - التعليم العالي ، ولا بد من ايجاد أساليب محددة في التعليم العالي أيضا لتحقيق واحد من أسس مبادئ المجتمع الجديد ، مبدأ العدالة الاجتماعية .

(١) مباريات اختيارية في المعلومات تعقد بانتظام حول مختلف المواضيع .

فاية أساليب تستخدم لمعالجة القضية ؟ قال لنا من تحدثنا اليهم في بلغاريا ورومانيا وبولندا أن هذه القضية تحل أساسا بطريقتين .

الطريقة الاولى يمكن أن تسمى «التسوية فى مرحلة الانتهاء من المدرسة» .

وقال لنا البروفسور ج . ماسيزفيسكى رئيس قسم العلم والتعليم فى اللجنة المركزية لحزب العمال البولندى الموحد والمرشح لعضوية اللجنة المركزية للحزب « يتخذ حزبنا اجراءات اقتصادية واجتماعية واسعة للتسوية بين مستويات وظروف المعيشة ، وتشمل هذه الاجراءات ضمان فرص متكافئة لكل الطبقات والفئات والمجموعات فى التعليم والتطور النقافى . ونحن نهتم بشكل خاص بنوعية تدريب المعلمين وتوفير التسهيلات المدرسية حتى نجعل الظروف مواتية متكافئة فى كل مكان . »

وقد أكدوا لنا أهمية هذه السياسة فى بلغاريا ورومانيا ، لكنها سياسة تحتاج الى وقت حتى تؤتى آثارها ، فى حين أن مسألة « البداية المتكافئة » فى التعليم العالى تلح فى طلب الحل . وهكذا تتخذ اجراءات أخرى أكثر سرعة فى تأثيرها ، وتشجع التسوية فى مرحلة « القبول فى الجامعة » .

ففى بولندا مثلا يعطى المرشحون من عائلات عمالية وفلاحية درجات اضافية . لكن البروفسور ج . جووسكى ، نائب وزير العلوم والتعليم العالى والتكنولوجيا يقول لنا أن « هذا الاسلوب ليس مرضيا تماما ، وليست نتائجه أيضا مرضية . ففى الاقسام النهائية من مؤسسات التعليم العالى تبلغ نسبة الطلاب من أبناء العمال والفلاحين ٤٤٪ . وهذا ليس سيئا ، ولكن اذا ذكرنا أنهم يمثلون ٦٣٪ من الشباب بمجموعه ٠٠ » وهكذا يناقش البولنديون فى الوقت الحالى امكانية اتباع نظام آخر يمكن أن يجرب فى البداية على نطاق صغير ، ويتضمن هذا النظام دورات اعدادية تقبل من تلقوها فى مؤسسات التعليم العالى دون امتحانات . والفكرة هى أنه مع مرور الزمن ستبلغ نسبة من يلتحقون بالتعليم العالى عن هذا الطريق ٢٠٪ .

وتخطط بلغاريا أيضا لاعداد ما بين ١٥٪ و ٢٠٪ من المتحقين بالمدارس العليا بأسلوب مماثل . يقول ب . جروزكوف سكرتير مجلس التعليم العالى فى جمهورية بلغاريا الشعبية « ونحن نستخدم فى تنظيم الدورات الاعدادية الخبرة التى أثبتت صحتها فى مؤسسات التعليم العالى السوفيتية . »

ويذكر ر. بوجدان ، نائب وزير التعليم الروماني ، أن ٥١٪ من طلاب المدارس العليا الرومانية من أصل عمالي أو فلاحى ، وأن عشر المتقدمين يأتون من المصانع والمزارع .

وأوضح أن هذه ظاهرة واسعة فى البلدان الاشتراكية . ففى منفوليا (وأحدنا ينتمى الى هذا البلد) يوجد قسم اعدادى فى الجامعة والمعهد الزراعى منذ ١٩٧٣ .

وتميل الدورات الاعدادية الى تفضيل الشباب العامل ، الشباب والفتيات الذين يعملون فى المصانع والمزارع وغيرها من مؤسسات الانتاج المادى منذ تركهم المدرسة الثانوية . ويبدو هذا أمرا عاديا ومقبولا تماما .

● هدف التعليم العالى :

وكانت الخطوة التالية أن نكتشف كيف تتغير وظيفة نظام التعليم العالى وهدفه مع تطور الاشتراكية .

منذ فترة ليست بالبعيدة كان كل شئ فى هذا المجال واضحا وفى مكانه الصحيح . فقد كان دور التعليم الثانوى مثلا هو نشر المعرفة ، واشباع مايمكن أن يسمى احتياجات المجتمع الاجتماعية والثقافية العامة ، وليست الاحتياجات الخاصة المتعلقة بالانتاج . أما التعليم العالى فيخدم هدفا آخر ، فقد كانت وظيفته هى أن يعد الناس لمهنهم المقبلة ويشبع احتياجات المجتمع الحالية من الكوادر المؤهلة تأهيلا عاليا فى الانتاج والعلوم والتعليم وغيرهما . فما هو الوضع الآن ؟ ألا نزال نستطيع أن نضع مثل هذا الخط الفاصل بين التعليم الثانوى والتعليم العالى ؟ هذا سؤال حاسم ، سؤال يحدد معايير « الناتج الأمثل » والدور الاجتماعى للتعليم العالى فى بناء المجتمع الاشتراكى المتطور فى مراحلہ المقبلة .

فما هى الوقائع المتصلة بالموضوع ؟ يوجد فى بلغاريا ١٠٨٠٠٠ طالب وفى رومانيا ١٧٥٠٠٠ وفى بولندا ٤٨٩٠٠٠ مما يعطينا النسبة التالية بين كل ألف من السكان : ١٢٣ ، ٨١ ، ١٤٢ . ولا تخطط بلغاريا وبولندا أية زيادة فى عدد المتتحقين خلال خطة السنوات الخمس الجارية ، فالعدد الحالى من الخريجين كاف تماما حتى للمطالب الإضافية التى تخلفها التغيرات البنيوية فى هذا المجال أو ذاك من مجالات الانتاج .

وقد قال لنا الدكتور ج. كلوزينسكى مدير معهد الأبحاث والتعليم العالى البولندى : « لو قارنا امكانات الاقتصاد الوطنى بامكانات المدارس العليا فسنلاحظ فارقا كبيرا بين البلدان الاشتراكية وبقية العالم . فامكانات التعليم العالى هنا أكثر كثيرا مما قد نحتاجه اذا طبقنا معالجة اقتصادية صناعية تقوم على المنفعة وحدها ، ويرجع هذا الى السياسة الاشتراكية بأسرها واتجاهها نحو تطوير الشخصية . وتلك نتيجة تتفق تماما مع أهدافنا . فلا يستطيع الناس أن يقوموا بدور نشيط كفى فى إدارة المجتمع ، وتطوير كل أشكال مبادرة الجماهير التاريخية الا اذا تعلموا على مستوى مرتفع » .

وهكذا فان التعليم العالى يتطور متقدما على متطلبات منفعة الانتاج . أفيعنى هذا أن وظيفته قد اتسعت ؟ وأنه فى المستقبل لن ينتج كوادر مدربة فحسب ، بل سيستخدم أهدافا ثقافية عامة ؟

عند هذه النقطة كانت مناقشاتنا تتسم بالحيوية ، فالمسألة معقدة وتثير كثيرا من الآراء المختلفة .

كان البعض يرد بحماس « نعم تلك حقيقة واقعة ان الخطوط الفاصلة القديمة بين التعليم العالى والثانوى تختفى . لقد أثارت الاشتراكية رغبة الناس فى المعرفة بصورة تزيد كثيرا على متطلبات شهادات التخرج . وعلى المعاهد أن تواصل عمل المدارس الثانوية . وبالطبع ستظل تؤدي مهمة تدريب المتخصصين ، لكنها كذلك وظيفة تعليمية عامة . فلنفترض أن لدينا عددا كافيا مثلا من مهندسى انتاج المعادن . فماذا بعد ؟ اذا كان فى وسع العمال امام فرن الصهر وصانعى الصلب أن يحصلوا على شهادات جامعية فهذا أمر جيد ، لا بد أن يؤتى ثماره فى نهاية المطاف ، فاختراع كبير واحد لصانع صلب تلقى تعليما هندسيا سيفضى تماما نفقات تعليمه وتعليم كثير من زملائه . أفليس هدف الاشتراكية هو تطوير كل المواهب ؟ أليس اهتمامنا الأول هو إثراء الشخصية ، وتشجيع التعبير الذاتى الخلاق ؟ »

ويقول البعض الآخر « نعم ، ان هذا هو ما نسعى اليه » ثم ينتقلون الى الهجوم فيقولون « لكننا لا نتفق معكم حول طريقة بلوغه . فلا بد أن تظل مؤسسات التعليم العالى أدوات لتدريب المتخصصين . ولا يمكن أن تحصل على كل شئ فى الوقت نفسه ، فالتعليم العام ليس وظيفتها ، انما هو مهمة المدارس الثانوية ، وهى توسع مجالها بما يتفق مع المتطلبات . وعلى أى حال فاذا شعرت أنك لم تتعلم فى المدرسة ما يكفيك فانك تستطيع مواصلة الدراسة . وهناك كثير من الفرص ، فمماذا عن الأقسام المسائية فى الجامعات؟

وهناك أيضا الدراسة بالمراسلة ، وماذا عن كل الدورات الأخرى ، الجامعات الشعبية وسلاسل المحاضرات فى التليفزيون وما الى ذلك ؟ تلك قاعات محاضرات مفتوحة للجميع • أفليست وسيلة لرفع التعليم العالى الى أى مستوى تريد ؟ »

ان هذا النوع من المناقشات قد وضع يدنا على جو البحث الحر المثير فى حياة وتطور التعليم العالى فى ظل الاشتراكية • وقد أتاحت لنا فرص عديدة لكى نرى بأعيننا أية فرصة هائلة ، وأى تنوع فى الطرق ، تتيحها الاشتراكية لنمو الجماهير الثقافى •

● الرسالة الثانية :

لقد بدأنا نتعلم من الطبيعة أسرع مما نتعلم من بعضنا البعض • فمناهج المعهد تغطى عادة فترة خمس سنوات ، لكن حجم المعرفة فى ميدان علم الأحياء مثلا يتضاعف خلال هذه الفترة • والمعرفة فى مجال الوراثة تتضاعف كل عامين ، والمعدل أكثر سرعة فى الفيزياء النووية وأبحاث الفضاء • وإذا استطعنا أن نحول سلحفاة زينون الشهيرة التى كان آخيل يجرى فى اثرها الى قطار سريع فسنحصل على نموذج شبيه بنموذج السباق الذى يتبغى على طلاب اليوم أن يدخلوه •

وليس هذا كل شيء • فليسوا كثيرين اليوم أولئك الذين يستطيعون أن يعيشوا طيلة حياتهم فى ذات المهنة التى اختاروها فى الأصل • وقد تبهننا البروفسور ج• كوبيسفيتش ، عميد كلية التربية فى جامعة وارسو ، الى أن نحو نصف المهن الموجودة اليوم لم تكن معروفة فى بداية القرن ، ومن بين هذه المهن لن يبقى سوى النصف فى العقود القليلة التالية • ان ملايين الصغار يلتحقون بالمدارس ، لكننا لا نعرف أى نوع من العمل سيؤديه نصفهم حين يكبرون ، وكل ما نعرفه هو أن نصفهم سيعملون فى مهن ليست موجودة اليوم •

وقد يسأل المرء ما الفائدة من التعليم اذا لم تكن تستطيع أن تعلم كل شيء • وكيف يتبغى لك أن تعلم اذا لم تكن تعرف ماذا سيصبح تلاميذك ؟

لقد وضعت الثورة العلمية والتكنولوجية اليوم التعليم العالى فى وضع لم يسبق له مثيل • وبعض الناس يؤمنون بأن أيام المدرسة العليا كمؤسسة اجتماعية أصبحت أياما معدودة • وكل ما تستطيع أن تفعله هو أن تغلق

التعليم والبحث • ولم يعد متبقيا شيء من الفكرة القائلة أن البحث شيء ثانوي في الجامعة ، ونوع من « الحافز التعليمي » • وتحصل الوحدات المندمجة على نصيبها في خطة الدولة العامة للأبحاث ، وبذا تشترك في تقسيم أعمال البحث وتعاونها على النطاق الوطني •

ولسنا بحاجة الى أن نشرح مدى استفادة العلم من هذا التكامل • فماذا عن التعليم ؟ ما هو التأثير التعليمي للتكامل ؟ من آثاره أن المعاهد والجامعات تحصل على موارد مادية وتكنيكية أكبر • ويجرى جانب كبير من التعليم في المعامل المتخصصة ، بمساعدة معدات معقدة غالية الثمن كثيرا ما تكون فريدة • وثمة تأثير آخر هو أن الشباب يتعلمون من خلال عملية بحث جدية ، ويحصلون على معارفهم من الأبحاث ذاتها • ان النكتة القديمة التي تقول « ان من يستطيعون يعملون أما من لا يستطيعون فيعلمون » كانت تنطبق أحيانا على أساتذة الكليات • أما الآن فان من « يعملون » هم الذين يعلمون الشباب ، وهذا يتيح قدرا أكبر من المعلمين •

وفي بلغاريا ذكرت لنا الاستاذة ت. أجريروفا ، عميدة كلية الرياضيات في جامعة صوفيا كيف كان أعضاء الأقسام الصغيرة حتى وقت قريب يقسمون فترات المحاضرات فيما بينهم ، وكثيرا ما كان نفس الشخص يقدم نفس المحاضرات عاما بعد عام • وقد ألغى التكامل أقسام الكليات ، فكل المتخصصين في المركز العلمي الموحد يقومون بالتدريس ، سواء كانوا من الكلية أم من الأكاديمية • وكثيرا ما يقدم نفس مجموعة المحاضرات اخصائيون مختلفون في دورات متوازية ، وأصبحت مقارنة نوعية التعليم أيسر ، وتحقق تقسّم أفضل في سبيل تحسينها ، كما تساعد على ذلك استطلاعات الرأي التي يجيب عنها الطلاب دون ذكر أسمائهم •

وماذا يعني التكامل على مستوى « التعليم والإنتاج » ؟

انهم يجرون تجربة في بولندا عن تدريب المهندسين الكهربائيين ، ويبدأ الطلاب في المعهد الفني في وارسو لكنهم ينقلون بمسد عامين من التدريب الأساسي الى قسم خاص في مصانع الهندسة الكهربائية الثقيلة في ابلنلاج • ويقول المتخصصون البولنديون أن المعدات هنا فريدة ، وليس ثمة حاجة الى نسخها في مركز التدريب •

وتعالج رومانيا مسألة التكامل بين التعليم والإنتاج بطريقتها الخاصة •

فحينئذ كنا نقوم بدراسة معهد بوخارست الفنى كان علينا أن ننقل من مبنى الى مبنى وكأننا نقوم بسياحة فى مدينة ، ولا عجب ، فهذا المعهد الذى يضم عشرين ألف طالب هو أكبر معهد فى البلاد ، وهو من ذلك النوع الذى أصبح يسمى الآن « الجامعة التكنيكية » . ويمكن للمرء أن يتلقى تقريبا أى نوع من التدريب الانتاجى العملى فى ورشه ومعامله . وقد التقينا فى محطة الحرارة والطاقة - وللمعهد محطته الخاصة - بمجموعة من خمسة أو ستة طلاب تعمل مع مدربيها جنبا الى جنب مع الكوادر المؤهلة فى المحطة . ويتم التدريس أثناء نوبات العمل النهارية والمسائية وفق ما تتطلب وتيرة العمل .

كما رأينا طلابا يحملون شارة معهد بوخارست البوليتكنيكي على ستراتهم فى ورش مصانع الآلات الزراعية فى بوخارست . وقد أدهشنا ذلك فى البداية . التدريب العملى أثناء فترة الدراسة ؟ بيد أن هذه كانت هى المسألة . فمنذ العام الماضى يتعاون المصنع والمعهد على أسس جديدة . فخلال العام الدراسى يحتفظ المصنع بالعدد اللازم من الأعمال للطلاب التطبيقيين . وأعيد تنظيم جدول المعهد الدراسى للمزاوجة بين الدراسة النظرية والتطبيقية . وكل ثلاثة أسابيع يجرى استبدال مجموعة الطلبة فى الورش ، وهكذا يمضى الأمر شهرا بعد شهر .

وتتخذ دراسة الشباب وكذلك عمل الدبلوم مظهرا جديدا اليوم . فكثيرا ما يتخذ شكل التسيير الفعلى للمعدات التكنولوجية وطاولات الاختبار فى الورش ووحدات الآلات المحسنة .

وطرق تكامل التعليم مع الانتاج فى البلدان التى زرتها متنوعة بقدر تنوع البلدان ذاتها . ولم يخف من تحدثنا معهم أنه ما زال أمامهم تعلم الكثير ، وأنهم فى بعض الأحيان يواجهون قضايا ومصاعب غير متوقعة . غير أن النتائج الاولى كانت مشجعة تقرب من الهدف النهائى . وهذا الهدف واحد فى كل البلدان ، وهو اعطاء الطلاب فكرة عن الانتاج تساعدهم فى تعلم المزيد عن المهنة التى اختاروها وظروفها ، والمطالب التى ستطلب منهم أثناء حياتهم المهنية ، وتضعهم فى صلة أوثق بالعمل الذى سيؤدونه فى المجتمع .

● من القبول الى التخرج :

ان التكامل بين التعليم والبحث والانتاج هو العلامة المميزة التى تركتها الثورة العلمية والتكنولوجية على نظام التعليم العالى . كما أدت هذه الثورة

الى اعادة تنظيم عملية التعليم ومضمونها وأساليبها واتجاهها •

فالتقسيم الواسع للعمل والتخصص الضيق من سمات عصرنا •
و « سيناريو الانتاج » يوضح حتى آخر كلمة ومنفذ • والرغبة الطبيعية هي اعطاء الخريجين دورهم دون أى « تكيف » حتى يستطيعوا أن يؤدوا عملا كاملا منذ البداية • لكن الثورة فى العلم والتكنولوجيا تجعل هذه الأدوار مؤقتة • فالانتاج يصبح أكثر فأكثر دينامية • وهكذا ، لا بد أن يكون المؤدون قابلين للتكيف • وبعبارة أخرى فإن المسألة هي تحقيق متطلبات متعارضة •
فهل هذا ممكن ؟ وإذا كان ممكنا فكيف ؟

يقول الاكاديمى « فوينيا » ، عميد معهد بوخارست البولتكنيكى « لفترة طويلة كانت مؤسسات التعليم العالى فى رومانيا توجه على أساس التخصص الضيق • أما الآن فقد أعيد النظر فى النظام بصورة جذرية • ان لدينا الآن ٨١ تخصصا أوسع بدلا من ١٥٥ تخصصا • وخلال السنوات الأولى لا تقسم الدراسة الا الى ٣٥ قسما واسعا • وفى الوقت نفسه فانا لم نتخل عن هدف تدريب الخريجين بحيث يمكن أن يدخلوا الانتاج على الفور كمتخصصين كاملين • لقد قررنا أن تخصص بمساعدة الصناعة وانما فى اطار التعليم العالى • »

ويجرى التحول نحو « التخصص الواسع » فى كل مكان فى البلدان الاشتراكية فهو يجرى فى بولندا مثلا منذ عدة سنوات • ويقول لنا الدكتور ج • جورسكى : « لكن التكيف مع العمل مسألة تتخطى اطار التعليم العالى ، فعلى المتخصص أن يعمل نحو عام فى الانتاج حتى يتكيف تماما • وهناك طرق مجربة ناجحة لوضع اللمسات الاخيرة للمدرسين والاطباء والمحامين • وسيطبق المبدأ نفسه على المهندسين • »

وقد أثارت هذه المبادئ العامة اهتماما بسبب ما بينها من أوجه شبه وأوجه خلاف •

ففى حين تعاد تنظيم نظام التعليم بأسره فى رومانيا تخطط بولندا لاعادة تركيب بنية المدارس الثانوية وحدها • وحين سيتم اعداد الدفعة الأولى من طلاب مدارس الاثنى عشرة سنة سيجرى اصلاح كبير فى التعليم العالى • وقد وضع رجال التعليم البولنديون فى خططهم التحضيرية نموذجا يمكن أن يعهد فيه التخصص الانتاجى واعادة التدريب والاستخدام الرشيد للكوادر

ككل متكامل بشبكة خاصة جديدة خارج اطار التعليم العالى . وهذا واحد من أوجه الاختلاف .

وتكمن أوجه الشبه فى أن كلا من الرومانيين والبولنديين - والبلغاريين أيضا - يؤكدون على الأهمية البالغة للتدريب النظرى الأساسى العام للمتخصصين . وهذا مالا يمكن أن تقوم به سوى مؤسسات التعليم العالى .

ولا تعنى المعرفة الأساسية اليوم شيئا شاملا . يقول ب . سندوف مدير جامعة صوفيا والعضو المراسل فى أكاديمية العلوم : « لقد انقضى الى الأبد الزمن الذى كانت الجامعة تخرج فيه انسيكلوبيدين . فما من جدوى لمحاولة تعليم كل شيء . وعلى المرء أن يقوم بتعليم ما هناك حاجة اليه . » فليست المعارف ذات قيم متساوية ، فهناك معارف طويلة الأجل ومعارف زائلة . ويؤكد سندوف أن الجامعة تتخذ أساسا لها المعارف التى يعتقد المتخصصون أنها ستحتفظ بقيمتها لحياة جيل تقريبا ، وهم يضعون على أساس ذلك برنامج تدريب لنحو ثلاث سنوات قادمة ، وتلك هى « الوحدة الأساسية للمعرفة » واليكم واقعة لها دلالتها ، فقد عرفنا فى بلغاريا أن جامعتى صوفيا وموسكو قد استخدمتا فكرة التعليم الأساسى العام لبدء تجربة هامة . وفى العام الماضى بدأ دارسو الرياضيات - وفى العام الحالى دارسو الصحافة والفيزياء والكيمياء - يدرسون البرامج نفسها . ويؤمن منظمو التجربة بأن « توحيد » الوحدة الأساسية سيساعد على تطوير التعاون العلمى والتكنولوجى والثقافى بين البلدين ، وسيتيح لهم اجراء تبادل أوسع بين الطلاب . الذين سيتمكنون من التخصص وفقا لاحتياجات كل بلد .

لكن لنعد الى موضوعنا ، فحتى الوحدة الأساسية لا يمكن أن تكون أبدية . انها لا يمكن أن تكون مستقرة ، لكنها لا يمكن أن تكون ساكنة . وتعهد مهمة تعديل البرامج فى بلغاريا ورومانيا وبولندا الى أفضل فرق المتخصصين . وتقر البرامج فى المركز وتصبح ملزمة للجميع ، غير أنه يتاح لمؤسسة التعليم العالى فى بولندا مثلا أن تضع خطة لسبعة أو ثمانية أعوام دراسية - حسبما تراه ملامتا - حتى تستطيع أن تستخدم سماتها الخاصة وتقاليدها المميزة . وفى وزارة العلوم البولندية تضع مجموعات خاصة من خبراء التعليم العالى والتكنولوجيا برامج لكل المواد . ومن الاجراءات المعترف بها تعديل البرامج كل خمس سنوات .

ولما كان من المستحيل أن تشمل « الوحدة الأساسية » كل المعارف التى قد يحتاجها المتخصص فى المستقبل فلا بد من « تعليمه كيف يتعلم » . وكانت هذه عبارة سمعناها كثيرا فى بلغاريا ورومانيا وبولندا .

● مفتاح الابداع :

ويعنى تعليم الناس كيف يتعلمون الهامهم الحماس للعمل ، وتشجيع عادة الاستطلاع ، وتربية ذوق العامل المستقل وتطوير مهارته ، كما يعنى اشعال الرغبة في العمل الخلاق ، أو على حد تعبير أحد من تحدثوا معنا « الارتفاع بعملية التعليم لتصبح عملية بحث » . « وهنا يلعب التكامل بين التدريب والبحث والإنتاج دوره » .

انه يغير طبيعة العلاقات بين الطالب والمعلم ، فقد حلت محل الصورة التقليدية التي ينقل فيها أحدهما معارف جاهزة الى الآخر علاقة تعاون بين شريكين وحين كان أستاذ مقرر يخاطب طالبا فزميل له لم يكن الامر يعنى التهذيب من جانبه . اما الآن فان الكلمة تعكس الوضع الفعلي بصورة متزايدة .

وقد حدثونا عما يسمى مجموعات الابداع «المختلطة» التي تتألف من معلمين وطلاب يعملون في نفس الموضوع . وفي البداية يعهد للطالب بأداء مهام بسيطة نسبيا ، واذ تزيد قدراته بالتدريج فانه يتطور الى باحث مستقل ناضج أصيل .

ومن المهم في مثل هذا العمل أن نأخذ في الاعتبار تكوين الطالب الفردي ومواهبه واهتماماته . وفي العادة تنتج أكثر الدروس شعبية أفضل النتائج . وكما تكون الدروس شعبية لابد أن تكون متنوعة . ولكن كيف يمكن وضع دائرة واسعة من الاهتمامات في برنامج تعليمي موحد ؟

ان واحدا منا يعرف جيدا القضايا الصعبة التي تواجه مؤسسات التعليم العالي خارج العالم الاشتراكي . وقد أوضحت كثير من الأمثلة أن الحركات الاصلاحية التي هزت الجامعات في السنوات الأخيرة قد فشلت في احداث تغييرات جذرية في هيكلها الادارة والاكاديمي ، ومن ثم فرض حلول شاملة في أساليب التعليم . وكان هذا هو الاطار الذي دافع فيه الطلاب عن حقهم الديمقراطي في حرية حضور المحاضرات . لكن الخبرة التعليمية توضح أن الدراسات غير المنتظمة تؤثر تأثيرا سيئا على الفروع التعليمية . فتطبيق

الالتحاق الاختياري بالمحاضرات يعجز الطلاب عن استيعاب ما بين ٤٥٪ و ٥٠٪ من المادة الأساسية للتدريب المهني الحقيقي .

والظروف في البلدان الاشتراكية مختلفة بالطبع ، وجامعاتها لا تواجه القضايا ذاتها . فحضور المحاضرات الزامي ، وهو يشجع كثيرا استيعاب المعرفة . ولكن أية خطوات عملية تتخذ لاضفاء الطابع الفردي على التعليم في هذه البلدان ؟

لقد بحثنا هذه المسألة . ان البرامج تقسم الى جزئين ، والمواد العامة التي تشمل دائرة واسعة من الاهتمامات الزامية ، أما الفروع « الضيقة » فتدرس عادة اختياريًا . وهكذا فان الطالب يستطيع أن يختار . وهناك أيضا برامج

فردية للطلاب الذين يريدون أن يتابعوها . ويختار الطلاب ههذه البرامج بأنفسهم أو بالتشاور مع معلمين مجربين معينين لهذا الغرض . وفي بولندا يستطيع أى طالب أن يتحول الى برنامج فردى ما طالما يحصل على درجات « أربعة » (فى نظام من خمس درجات) . ويحدث هذا فى أغلب الاحوال بعد عامين أو ثلاثة من التدريب العام . وأخيرا ينتشر نظام الحلقات وروابط الطلاب العلمية والتكنيكية وغيرها من الروابط الابداعية فى مؤسسات التعليم العالى فى البلدان الاشتراكية ، وهى تشككل بمجموعها ما يكاد يكون جامعة داخل الجامعة ، جامعة لها اهتماماتها الخاصة .

وقد تغيرت العلاقة بين « الواسع » و « الفردى » تغيرا كبيرا فى اطار الدورس النظامية . وعلى سبيل المثال كان على كل معلم فى مؤسسة تعليم عليا فى بلغاريا فى العام الدراسى ١٩٤٤ - ١٩٤٥ أن يعمل مع ٣٠ طالبا ، وقد هبط هذا العدد فى ١٩٧٥ - ١٩٧٦ الى عشرة طلاب . وليست هذه مستوى أرقام احصائية متوسطة ، وإذا أخذنا فى اعتبارنا التغيرات الاخرى فى عملية التعليم فسنرى أن الاهتمام بالطالب قد زاد بنسبة تزيد على ثلاثة الى واحد . وقد تمكنا من دراسة كيف ينظم التعليم فى قسم الرياضيات فى جامعة صوفيا . وتستمر الدراسة بين ثلاث سنوات ونصف وخمس سنوات . وبالطبع فان أكثر الطلاب قدرة وإصرارا هم الذين يمضون حتى النهاية . ومطلوب منهم بعد ثلاث سنوات ونصف من الدراسة أن يحصلوا على متوسط « خمس » درجات (نظام من ست درجات) . وفى السنوات الأخيرة حين يتخصصون يعملون فى مجموعات صغيرة . وتعطى دورات باكملها من المحاضرات لمجموعات من ثلاثة أو أربعة طلاب ، وهناك نحو خمسين فصلا كهذه . ولكل طالب مرشد مؤهل تماما يوجهه فى دراسته ، ويساعده بالنصيحة ، ويقاسمه الخبرة ، وكقاعدة يتخرج كل الطلاب تقريبا بامتياز .

وتبين الأرقام التى أعطيت لنا فى البلدان الثلاثة تحسنا مطردا فى انجازات الطلاب . غير أن المتخصصين لا يحكمون « بالدرجات » وحدها ، فهم يؤكدون أنها ليست المؤشر الوحيد - بل ليست المؤشر الرئيسى - لتوعية التدريب . فأنباء التقدم الذى يحققه الخريجون فى الحياة بعد ذلك تعتبر المؤشر الذى يعول عليه أكثر من غيره .

● الرسالة الثالثة :

فى بولندا طلبوا الينا الاجابة على لغز (على سبيل المزاح) : « ما الذى يقرأه كل الطلاب منذ الصباح حتى المساء ؟ » ، وكانت الاجابة الصحيحة هى « الاعلانات » الإدارية .

ففى كل مكان فى قاعات الاستقبال وفى مداخل دور الطلاب والنوادر وقاعات

العشاء وحتى العيادات توجد الاعلانات والبلغات الخ ٠٠٠ على قطع كبيرة من الورق ، وصفحات منزوعة من كرايس الدراسة ، بعضها مكتوب بخط جيد ، وبعضها مجرد خطوط على الورق . ويبدأ الكثير منها بعبارة قاطعة « انتبهوا ! » بينما يبدأ البعض الآخر بعبارات تستهدف كسب الثقة : « هل تحب ان . . » وكلها تستهدف لفت انظار الطالب وتعلن عن اجتماعات الهيئات ، ومباريات تنس الطاولة ، واجتماعات المجالس العلمية ، ودروس الرقص ، والمناقشات الفلسفية ، واجتماعات المتشابهين في الأسماء والاجتماعات مع شخصيات بارزة ، والاستشارات للطلاب الذين يحتاجون تدريبا ، والمؤتمرات السياحية ، واجتماعات الشباب ، والندوات العلمية ، وفرق الغناء ، ومراقبة النظافة والصحة بل حتى شيء يبدو في غير موضعه عن تعليم الموسيقى بالمراسلة .

ان دوامة حياة الطالب تذهلك في البداية ، وتوحي نزواتها المتدفقة بالفوضى الكاملة ، وربما كانت كذلك ، فالشباب يشربون الحياة في جرعة واحدة ، ويمزجون المهام الجادة بالكسل ، والعظيم بالثير للسخرة . لكن هذا لا ينطوى الا على بعض الصحة .

لقد رأينا ما يكفي لكي نعرف ان ثمة نظاما في هذه الفوضى البادية ، فاهتمام الطالب الرئيسي اليوم - شأنهم « بالأمس » وربما ايضا « في الغد » - يتركز على اكتشاف ذاتهم أيديولوجيا وأخلاقيا ، على تحقيق ذاتهم ككائنات انسانية . انهم جميعا يتطلعون الى اكتساب نسق من الافكار عن العالم ، الى شيء يرشددهم في الاستخدام الهادف لقدراتهم ، وتشير مناقشاتنا في اللجان المركزية ومع القياديين في مجال التعليم العالي في بلغاريا ورومانيا وبولندا الى أن روح البحث عند الشباب تحظى بفهم عام ، وتتوفر لها ظروف مواتية لنجاحها .

ومن المسلم به عموما أن المدارس العليا ليست مسئولة عن التدريب المهني فحسب ، بل ومسئولة بالدرجة نفسها عن التربية الأيديولوجية والأخلاقية ، التربية بروح المثل العليا للشيوعية الانسانية ، بروح الجماعة والوطنية والاممية . فرغم ان الخريجين سيصبحون متخصصين في مبادئ مختلفة فسيحملون جميعا الواجبات المدنية ذاتها . ورغم أن الشبان قد يختلفون كثيرا كأفراد ، فانهم بمجموعهم يشكلون طراز الشخصية التي يتسم بها المجتمع الجديد .

ولكن فلنحذر التبسيط المفرط . اننا لانعني أن كيانا كاملا من الطلاب قد ظهر فجأة ، لدى كل منهم نفس الفضائل النموذجية ، فعملية النضوج عملية معقدة ، والذبذبات والانفجاعات المتهورة واطلا الشباب كلها جزء من هذه العملية . اننا لم نتأثر بنموذج مثالي ، وانما لطافته العالية لجياة الطلاب ، وبالجهد المشترك من أجل انسانية حقبة .

وفي رأينا أن الحماس التعليمي الذي شهدناه في هذه البلدان هو السمة

الميزة الأساسية الأكثر إيجابية للمدارس العليا في ظل الاشتراكية .

● دروس في العقيدة :

قال لينين في نداءه الشهير إلى الشباب «لن تصبحوا شيوعيين إلا إذا اغنيتم عقولكم بمعرفة كل الكنوز التي خلقتها البشرية» (المؤلفات الكاملة - المجلد ٣١ - ص ٢٥١) .

ان المعرفة الواسعة ، معرفة « كل الكنوز » هي التي تقود إلى الاختيار الواعي للنظرة الماركسية اللينينية إلى العالم . وهكذا يوضح التعليم الاشتراكي للشباب دون تردد دائرة واسعة من الاتجاهات والمفاهيم الأيديولوجية في تطورها التاريخي .

وليس هذا الخط صحيحا بالنسبة للفلاسفة وعلماء الاجتماع المقبلين فحسب بل هو صحيح أيضا بالنسبة لكيميائي المستقبل وتكنولوجيه وبيولوجيه ، فأيا كان الميدان الذي يختاره الطالب ، وأيا كانت الجامعة أو المعهد الذي يدرس فيه فسيستلقي الطالب دورة منتظمة في الفروع السياسية - الاجتماعية . وتشمل هذه الدورة في البلدان التي زُرناها أربع مواد على الأقل : تاريخ الحركة الثورية في البلد المعين ، وتاريخ الحزب الحاكم وسياسته ، وقضايا البناء الاشتراكي والشيوعي ، وفي المقام الأول - في السنوات الأولى - دروسا أساسية عامة في الاقتصاد السياسي والفلسفة . والفكرة هي أنه لابد من أن تتوفر للشباب آفاق واسعة ، وأن يتعرفوا على الصراع الأيديولوجي الحاد في الماضي والحاضر ، وأن يتعلموا كيف يستخلصون نتائجهم الخاصة ، وبدا يكتسبون نظرة علمية إلى العالم .

وحين يكتب الكتاب البرجوازيون عن التعليم العالي في ظل الاشتراكية، فانهم في بعض الأحيان يزعمون أن البرنامج « مشحون أيديولوجيا » .

وهم يقولون أن وقتا قصيرا هو متاح للتدريب المهني السليم ، كما يزعمون أن الطلاب يجبرون على دراسة مواضيع لا تثير اهتمامهم . غير أن الحقائق تبين أن مثل هذه الآراء لا تقوم على أساس .

ففيما بين ٨٥٪ و ٩٠٪ من ساعات الدراسة يخصص للتدريب المهني بالمعنى الضيق للكلمة ، الأمر الذي يعني أن ما بين ١٠ و ١٥٪ من هذه الساعات فقط هو الذي يخصص للمواضيع الأيديولوجية . وكانت تلك هي النسبة التي لاحظناها في كل المؤسسات التي قمنا بزيارتها ، ويبدو أنها توضح النقطة التي نعتيها .

كما تحسبنا موقف الطلاب من المواضيع السياسية والاجتماعية والاقتصادية

— الاجتماعية واهتماماتهم — وسألناهم عن المستوى المطلوب في هذه المواد . وكانت الإجابة أن مستواها مرتفع عادة . كما سألنا المراجع عن التقدم في هذه المواد ، وقيل لنا أن متوسط الدرجات لا يقل عنه في باقي المواد .

وعلى وجه التقريب ينفق نصف الوقت المخصص للفروع الأيديولوجية في محاضرات وبقية في حلقات دراسية . وبنقاش الطلاب أثناء الحلقات الدراسية المواضيع التي تتطلب بحثا إضافيا وتفسيرا أعمق . ويعنى الأعداد لهذه الدراسات فهما جادا للكتابات العلمية والوثائق والمعلومات المستمدة من الحياة . وليس الاهتمام بتعليم المواضيع والصيغ « عن ظهر قلب » وإنما بالاستيعاب الخلاق للمعالجة الماركسية اللينينية العلمية لتحليل الأشياء والظواهر . وقد لاحظنا عددا ليس بالقليل من الحالات التي كان فيها المتجادلون يواصلون النقاش بعد أن دق الجرس بفترة طويلة .

وأخيرا فإن الاهتمام العميق الذي يبديه الشباب بالأيديولوجية والسياسة وعلم الاجتماع يوضح كذلك أن أغلبهم لا يقتصر على « الحد الأدنى الإجباري » الذي يتطلبه البرنامج . فكثير منهم يحضرون دورات وندوات أيديولوجية إضافية ، وحلقات دراسية سياسية ، ومنظمات شبيبية ومنظمات حزبية ، ومؤتمرات علمية نظرية ، وقرارات ومباريات . وقد اشترك مائة وخمسون ألفا من الطلاب أي ثلثي مجموع الطلاب طوعية في مباراة كل بولندا للمعرفة السياسية في ١٩٧٥ - ١٩٧٦ التي فازت بها جامعة لوبلين . وحين وصلنا إلى بلغاريا كانوا يصنفون نتائج مباراة الجمهورية السياسية الثامنة للطلاب . وقد اتضح أن أغلب الطلاب الأجانب الذين يدرسون في بلغاريا قد اشتركوا بدورهم فيها .

وكانت هذه نقطة أثرت فينا . فلماذا يشترك طلاب أجانب لايقيمون في البلاد إلا بصورة مؤقتة في مباريات داخلية ، لقد كانت على أي حال مباراة اختيارية ، لكنهم قالوا : « إذا كانت اختيارية فلا بد أن تسمحوا لنا بالاشتراك فيها » . انهم لم يكونوا يريدون أن يقفوا بمنأى عنها . وقد أجرينا عدة أحاديث مع شباب وفتيات من بلدان أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا الأخرى . وقد درس بعضهم في مدارس عليا برجوازية . وقالوا لنا إن كل ما وجدوه هناك هو غسيل المخ البرجوازي المألوف بدلا من الوضوح الذي كانوا يبحثون عنه في المسائل الأيديولوجية . وكان ما أجوبه في مؤسسات التعليم العالي الاشتراكي هي أنها تساعد الناس — إلى جانب التدريس المهني — على أن يرسوا الأسس المعنوية والأخلاقية لشخصيتهم .

وتسهم كثير من العوامل في معتقدات الطالب واحساسه بواجبه المدني ومعايير سلوكه . فمضمون الدراسات وجوها ، والمثل الذي تضربه الكلية ، والعلاقات داخل المجموعة ، والعمل والحياة في المجتمع — كلها تترك طابعها لكل واحد منها أهميته في النضج الروحي . ويلعب العمل الاجتماعي الذي

يقوم به الشباب دورا خاصا فى ارساء مواقف ايدولوجية واخلاقية راسخة .

● « نحن نفعل ذلك بأنفسنا » :

كان نادى جامعة وارسو مبنى غير جذاب ، وقد أطلق الطلاب عليه اسم « ستودولا » (الحظيرة) . ورغم أن النادى قد انتقل الى مبنى جديد رائع فمزالوا يشيرون اليه باسم « ستودولا » . وقمنا بزيارة ناد آخر . ان دارين للطلاب تواجها أحدهما الاخرى - دار للطلاب وأخرى للطلبات . وكان النادى هنا فى دار الطالبات ويحمل اسم « أوياب » (لدى الفتيات) ، وهو اسم ينطوى على شيء من روح العبث .

وصحبنا تريزاجور سزيسكا رئيسة النادى الى قاعة الرقص والمقهى والبار وغرف النادى . واذا كنا نتطلع حولنا قالت لنا :

« تعقد الندوة الشعرية لدينا يوم الاثنين ، ولكتاب النشر ندوتهم ، وللمترجمين حلقتهم ، ولحبى الروايات العلمية جمعيتهم . وفى أيام الاربعاء تجتمع جمعية المناظرة السياسية . وستناقش غدا « قضايا القرية البولندية » . هل تحبون ان تأتوا ؟ وبالنسبة ماهو أكثر ماثير اهتمامكم ؟ »

وأردنا أن نقول لها كل شيء يثير اهتمامنا ، فقد أحسبنا أننا عند واحد من مصادر هذه الاعلانات . فهنا بجري اجتماع متشابهي الأسماء . وهنا رأينا اعلانا وردت فيه أسماؤنا . ماذا كان هناك ليثير اهتماما خاصا ؟ كان هناك اعلان عن « يوم للرواية العلمية يشترك فيه مؤلفون من بلدان أخرى » . و « أمسية للموسيقى الكلاسيكية » (على أضواء الشموع بالطبع) و « اجتماع للتزامن مع طلاب شيل » . من الذى يعد كل أوجه النشاط هذه وينظمها ؟

« نحن نفعل ذلك بأنفسنا »

وتدرس تريزا جورسزينكا فى قسم علم الانسان . وكل أعضاء هيئة النادى أيضا من الطلاب . وفجأة ظهر جزيسلاف بيساركيفيتش وهو طالب فى قسم الاقتصاد . وهو كرئيس لمجلس الطلاب يعتبر « المرجع » الذى يرجع اليه كل طلاب الحرم الجامعى الألف . وتحدثنا عن ادارة الحرم الجامعى، وتنظيم رابطة الطلاب الاشتراكية البولندية وأخيرا الادارة الذاتية للجامعة . وكنا قد سمعنا شيئا عن هذا فى اجتماعاتنا السابقة فى بلغاريا ورومانيا .

وتتمتع الهيئات والمنظمات العامة فى مؤسسات التعليم العالى بسلطات كبيرة . وفى هذه البلدان الثلاث يقوم الطلاب بأنفسهم بتسجيل الالتحاق ، ويضعون جداول الامتحانات أثناء الدورات ، ويراقبون المنح الدراسية ، وتوزيع السكنى

فى دور الطلبة . كما يشتركون فى تنظيم عملية التعليم وعمل الادارة الذاتية.
فى الجامعة .

وتنص الانظمة البلغارية على أن يشكل الطلاب ٢٠٪ من أعضاء الهيئات
المنتخبة ، ابتداء من الجمعية العامة للجامعة ومجلس الجامعة ومجلس المدير
وحتى مجالس الأقسام . ويتم انتخابهم بالاقتراع السرى لفترة أربع سنوات .
ولهؤلاء الطلاب كلمتهم على قدم المساواة فى نل شئون الكلية فيما عدا تعيين
المدرسين فى الأماكن الشاغرة ، ومنح الدرجات والالقاب العلمية . ويمثل الطلاب
نحو ١٥٪ من مجلس جامعة بوخارست ، ولهم نفس الكلمة التى للأعضاء من غير
الطلاب فى اتخاذ القرارات . وفى المدارس العليا البولندية تعتمد الادارة على
شبكة واسعة من المجالس واللجان المتخصصة المنتجة . وتراوح نسبة الطلاب
بين أعضاء المجالس التربوية للجامعات والأقسام بين ٢٠٪ و ٥٠٪ ، وتبلغ
نسبتهم ٨٥٪ فى مجالس الشئون الداخلية . ورغم أن الطلاب كثيرا ما يطرحون
المسائل التى تثير قلقهم فى المجالس فاننا لم نسمع عن مبادرة طلابية واحدة
تثير الاضطراب أو تعادى مصالح المجتمع .

والمدارس العليا فى ظل الاشتراكية ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الشعب ،
وهذا أمر يختلف تماما فى بعض الكليات البرجوازية اسي وضعت حواجز فى
شكل امتيازات وتجهيزات طبقية . ويمارس طلاب بلغاريا ورومانيا وبولندا
اشرافا على المدارس الثانوية ، ويقدمون حفلات الكونسيرت ، ويقفون المحاضرات ،
ويشتركون فى الحملات الانتخابية ، ويتم انتخابهم هم انفسهم نوابا فى هيئات
السلطة بما فيها المجالس التشريعية العليا . ومن المستحيل أن تعدد كل اوجه
نشاطهم ، لكننا لابد أن نتناول واحدا من هذه الأوجه بمزيد من التفصيل ،
ونعنى به العمل أى اسهامهم فى جهود عمل الشعب المكثفة .

ان كل من زار البلدان الاشتراكية فى شهور الصيف لابد أن يعرف
« موصات » الطلاب أثناء هذا الفصل . انها سترة العمل وقد غلقت عليها
الحروف الأولى من اسم المدرسة العليا التى ينتهى اليها الطالب « أو الطالبة »
وعنوان مشروع البناء الذى يعمل فيه ، أو حتى عبارة كهذه :

« نحن ذاهبون الى سكك حديد بيكال آمور ! فماذا عنك ؟ »

وكلما بدت ملابس العمل أكثر رثاءة زاد فخر من يرتديها ، وبخاصة تلك
الملابس الشائعة الملبئة بأماكن لحمل الاقلام . وفى الصيف تساعد فرق الطلاب
المتطوعين فى جمع المحصول ، أو يقومون بتركيب خطوط السكك الحديدية ،
أو يصبون الخرسانة المسلحة فى مواقع البناء . وفى منغوليا - وهى وطن واحد
هنا - تذهب مئات من فرق العمل الطلابية الى الريف ، وبخاصة الى منطقة
جوبى للمساعدة فى حفر الآبار واقامة شبكات الري ، وحظائر الماشية الشتوية
واقامة توسيع شبكات الخدمات والثقافة .

وكان هذا هو نفس الأمر في البلدان التي زرتها • فبعد الزلزال العنيف الذي وقع في رومانيا في الربيع الماضي عمل الطلاب باخلاص لازالة آثاره • وقد أقامت جامعة صوفيا علاقات ثابتة بمنطقة ميخايلوفجراد مركز أول انتفاضة مناهضة للفاشية • ويعمل الطلاب هناك على أساس عفود مع المزارع التعاونية والمصانع المحلية ويساعدون في التصميم والبناء ويدرسون لهجات المنطقة وتاريخها • وفي بولندا يهتم الطلاب - وفق خطة سنوات خمس تعرف باسم فيلم - ٨٠ - بالتطور الاقتصادي لهذه المنطقة التي أعلنت فيها بولندا الجديدة الحرة •

وينبغي ألا ننسى الى جهود العمل فحسب ، بل وكذلك الى المهرجانات - ان حياة الطلاب لم تفقد أيا من سحرها أو جمالها • فبدأيات العام الدراسي الجديد واحتفالات التخرج مناسبات يجرى الاحتفال بها ، وفي كل البلدان التي زرتها يحضر رؤساء الدول والسكرتيرون العامون للأحزاب الشيوعية مهرجانات الطلاب الوطنية • وفي رومانيا يقيم الطلاب الجدد - الذين يشار اليهم عادة باسم « بوبوك » (البط الصغير) حفلات رقص يجرى فيها اختيار « البطلة الأنسة » ، وهناك أيضا أعياد « الشبيبة » والكرنفالات والمهرجانات •

ولابد أن نشير أيضا الى المسيرات التذكارية • فطلاب جامعة وارسو ينظمون مسيرة ليضعوا أكاليل الزهور على قبور الطلاب الذين قتلوا في العمليات • ويتجمع الطلاب من كل أنحاء البلاد وهم يحملون مشاعل المجدد الخالد حتى بيك أوكس للاحتفال بذكرى المآثر التي قام بها أبطال التحرير ، وليقسموا قسم الاخلاص لتقاليد الشعب الثورية •

ان المدارس العليا تغزل بعناية خيوطها ، خيوط الحياة ، خيوط الزمن • وكثير من مدرسي الجامعة في بلغاريا ورومانيا وبولندا أناس كانوا شبابا قبل اقامة الاشتراكية ، ووهبوا شبابهم لتحويلها الى واقع • وفي بعض المناسبات الخاصة يرتدون عباة القرون الوسطى الموشاة بالفراء ويفضون فوقها الأوسمة التي منحت لهم لمشاركتهم في حركات حرب الانصار ، وفي المعارك ضد النازي ، ومن أجل انجازات خاصة في الفترة الاولى من السلطة الشعبية • وتبدو الوجوه في قاعات المحاضرات نضرة شابة • وتصوروا ، أن هؤلاء الشباب سيصلون الى النضج بعد عام ألفين ، وحتى علم المستقبل لا يستطيع أن يتطلع الى هذا الزمن البعيد ، لكن على التعليم العالي أن يفعل ذلك ، فأولئك الذين بدأوا بناء الاشتراكية يعدون الجيل الصاعد الذي سيمضي قدما ليبلغ ذرى جديدة •

● كاريكاتير ●



د. أجايف أو قفوا خطر قبلة النيوترون



م. ستارتيون رقصة الموت

● ● ●



ن. فوميتشيف

قبعات جديدة لرؤوس نيوترونية

٢٣ فبراير
عيد الجيش
السوفيتي

جيش الدولة الاشتراكية

بقلم: أ. يبلشيف

مرت القوات المسلحة التي ولدت مع الدولة السوفيتية
بطريق بطول مجيد ، وكان لها في كل مرحلة تاريخية وظائفها
المميزة . ولن أتعرض هنا لالقاء الضوء بصورة شاملة على تاريخ
قيام القوات المسلحة للدولة الاشتراكية وإنما سأقتصر فقط على
تحليل تطور وظائفها الذي تحدد أهميته النظرية والعلمية
الظروف التالية .

- يشهد العالم الرأسمالي في الوقت الحاضر نموا لا مثيل
له للروح العسكرية . ويتطلب التهديد الدائم بالحرب من جانب
الامبريالية من شعبنا أن يواصل اهتمامه الدائم بالقدرات
الدفاعية للدولة السوفيتية وزيادة كفاءته المسلحة . ولهذا
فإن الاعداد النظرية لمختلف جوانب البناء العسكري وهيكل
القوات المسلحة ووظائفها يكتسب أهمية خاصة .

- يجب أن نأخذ في اعتبارنا حين نتحدث عن وظيفة الدفاع عن الاشتراكية التي تقوم بها القوات المسلحة للدولة الاشتراكية التغيرات التي حدثت في الهيكل الاجتماعي للمجتمع والتطور السياسي الاجتماعي لبلدنا وكذلك التحولات التي حدثت وتحدث في موازين القوى على المسرح الدولي • وتنبع اتجاهات نشاط الكوادر العسكرية في مجال زيادة درجة الاستعداد القتالي لوحدة وتشكيلات الجيش والاسطول السوفيتي • من ادراك الدور الاجتماعي الذي تقوم به القوات المسلحة في الظروف الحالية •

- وترجع ضرورة النظرة في هذه المشكلة الى أن ايدولوجي الامبريالية يشنون هجمات محمومة على مبادئ الماركسية المتعلقة بوظائف جيش الدول الاشتراكية • والصحافة البرجوازية مليئة بمختلف الافتراءات حول القوات المسلحة الاشتراكية محاولة بشتى الطرق تشويه جوهرها الاممي الانساني. العميق •

ومن المعروف أن مؤلفات ماركس وانجلز قد أبرزت المبادئ الاساسية للدفاع عن الثورة البروليتارية الطاغية • وقد وضع لينين وهو بطور نظرية الثورة الاشتراكية في ظل الظروف الجديدة الاسس العلمية لمبدأ الدفاع عن الوطن. الاشتراكي • ونجد في مؤلفات لينين ووثائق الحزب الشيوعي الاجابات على الاسئلة الخاصة بجوهر الجيش ودوره الاجتماعي في مختلف الانظمة الاجتماعية ومبادئ تنظيم القوات المسلحة في الدول الاشتراكية وطرق مواصلة تطويرها.

ويعكس جوهر الجيش ودوره الاجتماعي حتما الطابع الطبقي للدولة نفسها • فالجيش على غرار الدولة • ففي الواقع نجد أن جيش الدولة البرجوازية هو الاداة الهامة التي تستخدمها الطبقات الاستغلالية في اخضاع جماهير الشعب وفي تحقيق السياسة الخارجية الامبريالية • ويقول لينين أن الجيش البرجوازي « هو أكثر الادوات تحجرا لتأييد النظام القديم وأكثر حصون النظام البرجوازي وتأييد سيطرة رأس المال صلابه » • ويحتفظ وصف لينين بمدلوله كاملا حين نتحدث عن جوهر الجيوش الامبريالية المعاصرة •

وعلى النقيض من ذلك تظهر في الدولة الاشتراكية قوات مسلحة جديدة من حيث المبدأ • وقد أكد لينين وهو يستعير كلمات فلاحة عجوز أن بسطاء الناس يقولون الآن : « لم تعد هناك حاجة الآن للخوف من الرجل المسلح لانه يحمي الكادحين ولن يعرف الرحمة في قمعه لسيطرة الاستغلاليين » • وتعكس هذه الكلمات أفضل وصف لجيشنا وأهم مصادر قوته ، كما تلمس الاختلاف الجذري بين القوات المسلحة في مختلف النظم الاجتماعية •

وتحدد الطريقة السائدة للانتاج والعلاقات الاجتماعية والايدولوجية القائمة في المجتمع ، طبيعة جيش كل دولة • والجيش ماهو الا تنظيم مسلح في الدولة. مهمته هي تحقيق أهداف سياسية معينة بالطرق العسكرية • وقد كتب لينين

في معرض نقده للمزاعم القائلة بأن الجيش محايد بالنسبة للمصالح السياسية. لـمختلف الطبقات ، يقول : « لا يمكن أن تكون القوات ولم تكن ولن تكون محايدة أبدا » . ولهذا بالذات فإن سياسة الطبقات المسيطرة ومصالحها هي التي تحدد طابع الجيش واتجاهه الاجتماعي وطرق « استخدامه » . وتقسم الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة بخصائص متناقضة تماما للجوهر الطبقي للجيش . فالجيش بالنسبة للدول الاشتراكية هو أداة الدفاع عن الاشتراكية من الهجوم الخارجي ، أما بالنسبة للدول الامبريالية فهو وسيلة للعدوان وقمع انتفاضات الكادحين الثورية .

وبهذه الصورة نجد أن وظائف الجيش والاتجاهات الرئيسية لنشاطه التي تمكس مكان ودور الجيش داخل البلاد وفي المجال الدولي كذلك ، تنبع من جوهره الطبقي ومهمته الاجتماعية .

والتحليل الجدلي لوظائف الجيش يفتح لنا السبيل لادراك حقيقة التنظيم العسكري كله في المجتمع بوصفه أداة للطبقات المسيطرة تستخدمه ضد أعدائها في أشكال تنبع من الظروف التاريخية ولتحقيق مهام ترتبط بنفس الظروف وكذلك فإن الكشف عن مضمون وظائف الجيش الاشتراكي يتطلب كذلك منطلقا تاريخيا محددا . ان وظائف الجيش لاتبقى دون تغيير ، مثله تماما ، بيد أن تغييرها وتطورها تحددهما أسباب اجتماعية جذرية .

ويحقق الجيش بوصفه أداة للدولة المهام السياسية الاجتماعية المحددة أمامه بالوسائل الخاصة . ولذلك فإن وظائفه جزءا لا يتجزأ من وظائف الدولة . وتغيير وظائف الجيش بتغيير وظائف الدولة .

ويقوم الجيش في الدولة الامبريالية بوظيفتين رئيسيتين : وظيفة داخلية وأخرى خارجية . وجوهر الوظيفة الداخلية هو قمع الحركات الشعبية وأى من أشكال الحركة الثورية داخل البلاد والتي تستهدف تحرير جماهير الكادحين من الظلم الاجتماعي والقضاء على نظام الاستغلال . ويقوم الجيش بتنفيذ ارادة الحكومة والطبقات الاستغلالية التي ورائها و « يفرض النظام » بقوة السلاح في البلاد . ويعرف التاريخ العديد من الامثلة حيث أغرقت الطبقات الاستغلالية باستخدام « مؤسساتها العسكرية » الحركات التقدمية الثورية في بحر من الدماء دون أن تتورع عن استخدام أعنف الوسائل والطرق اللاانسانية . وليس مصادفة أن يرى كلاسيكيو الماركسية اللينينية ، وهم يعدون نظرية الثورة الاشتراكية في تقويض المؤسسة العسكرية البرجوازية والقضاء على وظائف الدركي التي تقوم بها في قمع الكادحين واستبدالها بجيش جديد ، أن هذا من بين أهم مهام الثورة ، غير أنه يجدر التنويه بأن جيش الدولة البرجوازية أو جزء منه يمكن أن يقف الى جانب الشعب ويهب للدفاع عن منجزاته الديموقراطية وذلك مع توافر وضع ثوري وظروف معينة .

والوظيفة الخارجية لجيش الدولة الامبريالية هي الاستيلاء على أراضي الغير بهدف مضاعفة ثروات الطبقات المسيطرة وتوسيع نطاق اضطهادها للشعوب الاخرى ، وتصدير الثورات المضادة ، وقمع حركات التحرر الوطني . ولقد اشعلت الامبريالية في فترة ما بعد الحرب وحدها أكثر من ٣٠ حربا وصداما مسلحا تسعى بواسطتها الى عرقلة العملية الثورية العالمية وتدعيم مواقفها المتزعزعة ، وضرب النظم والحركات التقدمية والرجوع بعجلة التاريخ الى الوراء . وتحمل الروح العسكرية للولايات المتحدة بين طياتها اخطارا كبيرة بصفة خاصة بالنسبة لقضية السلام والاشتراكية .

ويقوم جيش الدولة الاستقلالية بهاتين الوظائفيتين ، الداخلية والخارجية ، طوال تاريخ المجتمع الطبقي . وهذه هي وظائفه الايديولوجية في الوقت الحالي كذلك . و « الجديد » هنا هو أن الدولة الامبريالية تعمل على اخفائها الان بستر كثيف من الدبلوماسية و « التدليك النفسي » وتزوير الاسباب الحقيقية للحرب واهدافها .

أما القوات المسلحة للدولة الاشتراكية فتقوم بوظائف مغايرة تماما . تجد دولة دكتاتورية البروليتاريا بانتصار الثورة البروليتاريا وبداية بناء المجتمع الجديد نفسها أمام مهام تقضى بتحقيق الانتصار الكامل على الطبقات الاستغلالية التي أطيح بها وكسر مقاومتها والدفاع عن مكتسبات الثورة ضد العدو الخارجي ولا يمكن أن تحقق الدولة الاشتراكية هذه المهام الا بالاستناد على القوة المسلحة التي تضطر لاستخدامها لضمان أمن بناء الاشتراكية .

وبالتالي فإن توزيع القوى الطبقي داخل البلاد بعد انتصار الثورة مباشرة والظروف الدولية الطارئة ، تجعل لجيش الدولة الاشتراكية وظيفتان كذلك : وظيفة داخلية وأخرى خارجية . غير أن جوهرهما واتجاههما الاجتماعى ونتائجهما تختلف جذريا عن وظائف جيوش الدول البرجوازية . ويحقق جيش الدولة الاشتراكية بقيامه بهاتين الوظائفيتين مهمته التاريخية فيحى أكثر النظم الاجتماعية عدالة في التاريخ ، أى النظام الاشتراكي ، ويدافع عن مصالح الطبقة البروليتاريا والكادحين عامة .

وقد أكد لينين وهو يدرس تجربة الحركات الثورية ونضال الكادحين ضد مضطهدهم أن أية حركة ثورية لاتساوى شيئا الا اذا كانت قادرة على حماية نفسها . وتؤكد التجربة العملية التاريخية أن عدم تقدير القضايا العسكرية تقديرا كاملا أو ضعف القوات المسلحة في الحركة الثورية يؤدى حتما الى هزيمتها .

وهكذا نجد أن قيام جيش الدولة الاشتراكية بهاتين الوظائفيتين يرتبط بالضرورة التاريخية لتدعيم الاشتراكية وخلق الظروف المواتية لتنورها . وبكلمات أخرى فالدفاع عن الاشتراكية هو قانون طبيعى عام للثورة الاشتراكية

مهما كان الشكل الذي تمت به • وهذه قضية مصير الثورة ومستقبل جماهير الكادحين • ان الاخطاء وأوجه القصور وعدم التقدير الكامل في هذه الناحية • محفوفة بعواقب وخيمة •

غير أن قيام جيش الدولة الاشتراكية بوظائفه له نوعيته الخاصة • فمن الممكن منذ البداية • كما تثبت الحقائق التاريخية • ملاحظة الاتجاه نحو الذبول التدريجي للوظيفة الداخلية • فلم تستخدم القوات المسلحة لبلادنا في المجال الداخلي بعد انتهاء الحرب الاهلية الا بطريقة عرضية وفي نطاق محدود • حتى الثلاثينات • • فقد استخدمت في ضرب فصائل الجيش الابيض التي لم يكن قد تم القضاء عليها • وكذلك عصابات الكولاك والباسماشي والفتن المضادة للثورة وغير ذلك من الحركات المسلحة المعادية للاشتراكية • وبكلمات أخرى • فقد تجبر مقاومة القوى الاجتماعية للعالم القديم • والتي تتجسد في شكل حركات مسلحة ضد النظام الجديد • البروليتاريا على استخدام القوة المسلحة • ضد الاعداء الطبقيين •

وبالتالى فان قيام الجيش الاشتراكي بالوظيفتين لا يمثل سوى مرحلة تاريخية • معينة في قيام التكوين الشيوعى • هي فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية وحدها • غير أن عملية ذبول الوظيفة الداخلية للجيش واختفائها بالتدريج تتوقف على الظروف التاريخية المحددة وخصائص تطور كل بلد • • ويؤكد برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى أن « هذا التطور لايسير وفق خط مستقيم • فمن الممكن أن تزداد حدة الصراع الطبقي نتيجة التغيرات التي تحدث في الموقفين الداخلى والخارجى ولذلك يجب أن تكون هناك نقطة دائمة لقطع الطريق في الوقت المناسب على دسائس كل من القوى المعادية الداخلية والخارجية • • • » ومن الممكن أن يظل خطر تحريك القوى المعادية داخل البلاد • كامنا طالما بقيت فلول الطبقات الاستغلالية التي ضربت والتي تعمل الامبريالية • على تقديم التأييد الشامل لها من الخارج • وتضطر القوات المسلحة للدولة الاشتراكية في ظل هذه الظروف الى القيام بوظيفتها الداخلية للقضاء على محاولات ترميم الرأسمالية • ولذلك تظل هذه الوظيفة موجودة فترة معينة • ولكن مع الاتجاه نحو الذبول •

وبهذه الصورة نجد أن جيش الدولة الاشتراكية يفقد بالتدريج وظيفته الداخلية نتيجة لزيادة النضج الاجتماعى للمجتمع • ويتجلى هذا القانون الطبقي بوضوح في تطور القوات المسلحة السوفييتية • فقد أدت الانتجازات الهائلة في البناء الشيوعى والتحولات النوعية الكبيرة وتدعيم الوحدة الفكرية والسياسية للشعب السوفييتى الى تغييرات هيكلية في مجتمعنا • وتحولت دولة دكتاتورية البروليتاريا الى دولة لمجموع الشعب تتسم بوحدة متراسمة عظيمة بين الشعب والجيش الذي يعتبر من الجماهير الكادحة واليهما • وليست هناك حاجة فى المجتمع الاشتراكي المتطور الى الوظيفة الداخلية للجيش وذلك لعدم وجود الفئات الاجتماعية التي ينبغي استخدام القوة المسلحة ضدها • ولذلك فان الاتحاد السوفييتى • كما يقول برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى •

« لا يحتاج الى الجيش من وجهة نظر الظروف الداخلية » .

ومن الطبيعي فان جيش الدولة الاشتراكية وحده هو الذى يمكنه أن يفقد وظيفته الداخلية . أما جيوش المجتمعات الاستغلالية فلا تحتفظ فقط بوظيفتها الداخلية بل وتقويه - أى وظيفة قمع جماهير الكادحين .

ومع فقدان الوظيفة الداخلية لايمثل جيشنا سوى أداة للدفاع المسلح عن الاشتراكية المنتصرة نظرا للتهديد المسلح الدائم من جانب الامبريالية . ويخضع كل نشاط قواتنا المسلحة للقيام بهذه الوظيفة الخارجية . ويتخذ الاتحاد السوفيتى ، فى الوقت الذى يتبع فيه سياسة خارجية لينينية تمزج بين ردع العدوان الامبريالى وبين الخط البناء للتعايش السلمى بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة ، يتخذ الاجراءات الهادفة الى الحفاظ على قدراته الدفاعية والاستعداد القتالى للقوات بحيث تكون فى مستوى يضمن أمن الدولة الاشتراكية . وينبغى أن تظل مهمة الزيادة الشاملة للقدرات الدفاعية لوطننا وتربية الشعب السوفيتى بروح اليقظة العالية والاستعداد الدائم للدفاع عن المنجزات العظيمة للاشتراكية ، من بين أهم مهام الحزب والشعب . ان الدعم الدائم لجيشنا ضرورة حيوية وقانون موضوعى للبناء الناجح للاشتراكية والشيوعية . وتنبع هذه الضرورة من طبيعة التطور الاجتماعى المعاصر وخصائص الصراع الطبقي بين الرأسمالية والاشتراكية .

غير أن الدفاع عن الاشتراكية لا يقتصر فقط على المجال العسكرى ولا يتم بالوسائل العسكرية وحدها . انه يشتمل على مختلف مجالات الحياة الاجتماعية : الاقتصاد والثقافة والسياسة والايديولوجية . ويكفى القول بأن الجهود العسكرية كانت دائما ولا تزال تستند على الامكانيات الاقتصادية والسياسية والمعنوية والعلمية . ولم يكن انتاج المعدات العسكرية والاسلحة الحديثة ممكنا فى بلادنا الا على أساس الانجازات الكبيرة للاقتصاد الاشتراكي والعلوم والتكنولوجيا . ويعزز استمرار تدعيم الوحدة السياسية المعنوية لمجتمعنا ، ووحدة الشعب والجيش ، العامل السياسى المعنوى للقوات المسلحة واستعدادها الروحى وقدرتها على القتال والنصر .

لقد ازداد عمق الوظيفة الخارجية للقوات المسلحة السوفيتية فى الوقت الحاضر الذى يتميز بتدعيم مراكز الاشتراكية والمجابهة الحادة بين النظامين الاجتماعيين . ويقدم لنا عمق وتنوع المهام التى تقوم بها القوات المسلحة السوفيتية الأساس لابراز عدة اتجاهات يتم فيها القيام بالوظيفة الخارجية .

الاتجاه الاول هو ضمان أمن الدولة السوفيتية وخلق الظروف الملائمة للعمل الخلاق لشعبنا . ويقوم الجيش بهذه المهمة فى وقت السلم عن طريق الاحتفاظ بحالة الاستعداد القتالى الدائم لصمد أى هجوم محتمل للمعتدى وقطع الطريق بحزم على العمليات الاستفزازية من جانب الامبريالية وتستهدف بها بلدنا .

وتحرس القوات المسلحة الحدود البرية والبحرية والجوية للاتحاد السوفيتي من بغفل العناصر المعادية التي يمكنها الاضرار بالقدرات العسكرية او الاقتصادية للدولة السوفيتية . وللتنويات القتالية لوحدات الصواريخ والاستعداد القتالي لسفن الاسطول والغواصات أهمية خاصة من بين انواع نشاط القوات المسلحة . هذا ماتضمنه في الواقع وظيفة حماية الوطن الاشتراكي في وقت السلم .

وفي حالة الهجوم المسلح على البلاد يدافع الجيش بالسلاح عن وطنه ويغوض حربا عادلة ثورية بروليتارية طبقية من حيث الجوهر . وهذا ماتحدده الاهداف التقدمية الثورية التي تتناقض بصورة مباشرة مع أهداف الامبريالية الاغتصابية التوسعية . ويمكن للشعب السوفيتي أن يكون على ثقة من أن قواتنا المسلحة المجيدة على استعداد لردع أى هجوم للعدو مهما كان مصلره . وعلى أى عدو محتمل أن يدرك أنه سيلقى ضربة رادعة في أية محاولة للهجوم على بلدنا .

ونتيجة لخروج الاشتراكية عن اطار دولة واحدة وقيام النظام الاشتراكي العالمي يظهر ويتطور اتجاه آخر في وظيفة القوات المسلحة السوفيتية يقضى بضمان أمن دول الاسرة الاشتراكية بصورة عامة . وتقوم كل الجيوش الاشتراكية بهذه المهمة بجهودها المشتركة . ولذلك فان التضاسف الترامى للدول الاشتراكية التي توحد وتنسق بصورة شاملة كل جهودها ليس فقط في المجالين السياسى والايدىولوجى بل والعسكرى كذلك ، ضرورى لمواصلة احباط الاهداف العدوانية للامبريالية . وهذه الجهود الجماعية لتدعيم الدفاع ورفع القدرات القتالية للقوات المسلحة ضرورية موضوعيا . فيجب أن تجابه قوة مسلحة اشتراكية دولية القوة المسلحة للرأسمالية الدولية .

وتبنى الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان الشقيقة الدفاع المسلح عن الاشتراكية على أساس الجهود المشتركة لشعوبها في ظل الظروف التاريخية الجديدة متبعة في ذلك التعاليم اللينينية حول حماية الوطن الاشتراكي . واكتسبت حماية الاشتراكية في الظروف المعاصرة طابعا أميا صريحا . فتجد الامبريالية في مواجهتها الآن نظاما اشتراكيا قويا له موارده وامكانياته المادية التي لا تنضب . وتتيح وحدة الهدف والايدىولوجية والاممية البروليتارية للبلدان الاشتراكية اتباع سياسة خارجية منسقة ، وتدعيم الصداقة والاخاء وردع محاولات الامبريالية ردها حاسما .

ان الدعم الشامل للقدرات الدفاعية لدول الاسرة الاشتراكية هو قضية أممية مشتركة لكل دول هذه الاسرة . ولكن الواقع التاريخى جعل الاتحاد السوفيتى بوصفه اقوى دولة اشتراكية يتحمل العبء الرئيسى لهذه الجهود العسكرية . وتخدم القدرات العسكرية للاتحاد السوفيتى قضية الامن الجماعى للشعوب المتحالفة . ويقدم الجيش

السوفييتى مساعدات شاملة للجيش الشيقة فى رفع مستوى الاعداد القتالى لقوانها على الدوام .

لقد تجسدت السياسة الاممية للحزب الماركسية اللينينية فى الدول الاشتراكية ، فى مجال الدفاع المسلح فى منظمة اتفاقية وارسو « حلف وارسو » ، والتي تمثل اتحادا دفاعيا اختياريا للدول الاشتراكية الاوربية يقف لحماية المنجزات الثورية لشعوب هذه البلدان منذ فتره طويلة . وتضى الاتفاقية بالعمل المشترك لجيش البلدان الشيقة لردع اية محاولات للهجوم من جانب الامبريالية .

وبهذه الصورة فان قيام الجيش الاشتراكية بوظيفة حماية الاشتراكية من العدو الخارجى هو قانون طبيعى موضوعى لتطور الاشتراكية فى كل بلد مثل تطور النظام الاشتراكى العالمى ككل . ولقد تطورت فى السنوات الاخيرة منظمة اتفاقية وارسو العسكرية ، كما توصل تدعيم كيائها نتيجة الاعداد الجماعى لعدد من الاجراءات وتنفيذها .

ولا يمكن الا نلمس ان القدرة العسكرية للاشتراكية تساعد موضوعيا على نجاح تطور الحركات الثورية والتحررية وتعمق تصدير الثورات المضادة . وفى هذا احد المظاهر الهامة للوظيفة الخارجية للقوات المسلحة للدولة الاشتراكية .

ان حماية النظام الاشتراكى التقدمى وضمان قيام وتطور التبركون الاقنصادى الاجتماعى الشيوعى يعتبر مساعدة هائلة لكادحى العالم ياسره فى قضية تحريرهم الاجتماعى والوطنى . فهم يرون فى الاتحاد السوفييتى والبلدان الشيقة الاخرى مستقبلهم والمثل الذى يناضلون من اجله ، وحسن العدالة الاجتماعية الشامخ . ويضفى كل ذلك الروح الثورية على الجماهير الشعبية ويساهم فى النهوض بالنضال المعادى للامبريالية وتضامن الجيش السياسى للثورة البروليتارية . وشعوب العالم تعرف المساعدات الشاملة التى يقدمها الاتحاد السوفييتى لحركات التحرر الوطنى ، والنظم التقدمية والدول الفتية التى تناضل ضد الظلم الامبريالى ، وكذلك مساعداته فى تطويرها على طريق الاستقلال والتقدم .

وتعتبر القدرات الاقتصادية والدفاعية للاتحاد السوفييتى بصورة او باخرى سندا قويا للشعوب الثورية فى نضالها ضد التدخل الامبريالى فى شئون البلدان التى هبت لخوض الحرب التحريرية ضد العنف الاجنبى وضد الاستعمار والظلم الاجتماعى .

وهكذا فالجيش السوفييتى بحمايته للعمل السلمى للشعب السوفييتى،

والاسرة الاشتراكية يساهم موضوعيا فى نجاح نضال الطبقة العاملة الدولية وحركة التحرر الوطنى .

وقد كان الحزب الشيوعى السوفييتى على الدوام ضد ما يسمى بتدمير الثورة وذلك استرشادا بالنظرية الماركسية اللينينية . غير ان اعداء الشيوعية يؤكدون زاعمين ان الحركات الثورية للكادحين وحركات التحرر الوطنى فى اى من انحاء العالم هى نتيجة « لدسائس موسكو » ، وان الجيش الاشتراكى على حد زعمهم من بين وسائل تصدير الثورة ، حيث تفرس الاشتراكية بواسطته فى البلدان الاخرى بالعنف . والعجيب فى الامر انهم يرددون هذه المزاعم فى الوقت الذى يعلم فيه العالم اجمع ان الشعب السوفييتى قد انقذ الحضارة العالمية من الطاعون الاسود بنضاله البطولى ضد الفاشية ، وان المهمة التحريرية للجيش السوفييتى فى سنوات الحرب العالمية الثانية قد ساعدت الكثير من الشعوب على الحصول على حريتها ، وخلقت المقدمات الضرورية للثورات الديموقراطية الاشتراكية التى قامت بها الطبقة العاملة بهذه البلدان فى ظروف نضج الموقف الثورى هناك .

ولا يمكن ان تؤدى تلفيقات الايدولوجيين البرجوازيين الى تضليل من له معرفة من قريب او بعيد بقوانين التطور الاجتماعى . ان حركة التاريخ لا رجعة فيها ولا يمكن العودة بالتاريخ الى الوراء . ولا يمكن باى حال من الاحوال « الملجأ » بالثورة الاشتراكية الى اى من البلدان والقيام بها بقوى خارجية اجنبية وهو ماؤكدده الواقع التاريخى فى القرن العشرين . فالثورة نتيجة طبيعية للتطور التاريخى لكل بلد ولا تنتصر الا بنضوح الظروف الملائمة لذلك .

ومن الواضح انى جانب ذلك انه يستحيل « حظر » الثورة ، كما يستحيل كبح العملية التاريخية الموضوعية . وانطلاقا من هذا القانون الراسخ يعتبر شيوعيو كل بلد ان واجبهم الاممى هو تقديم المساعدات الشاملة للحركة الثورية العالمية . وهم على وصى بان قوة النظام الاشتراكى العالمى عامل هام يساعد على منم تدخل البرحازبة الدولية عسكريا وتدخلها كذلك فى الشؤون الداخلية لشعب اى بلد هب للثورة .

وفى ظل الوضع الراهن حيث تحاول الامبريالية بكل قواها كبح العملية الثورة العالمية وخنق حركة التحرر الوطنى ، ترى الدول الاشتراكية واجها فى التأييد الاممى للشعوب التى تدافع عن استقلالها . ولا ترتبط هذه المساعدات باى حال من الاحوال باى شكل من الاشكال فرض نمط معين للحياة على الشعوب الاخرى ، فهى مساعدات ايمية اخوية للشعوب المضطهدة التى هبت للنضال من اجل التحرر الاجتماعى . وحتى فى تلك

الفترة التي كان الاتحاد السوفييتي الدولة الاشتراكية الوحيدة في العالم ومناصرا بالقوى الرأسمالية ، كما كان عليه توجيه الاهتمام لتدعيم دفاعه بالدرجة الاولى ، كان الشعب السوفييتي يتقاسم بصورة أخوية الوسائل المادية والخبرة العسكرية مع الشعوب الاخرى .

تجلت الرسالة التحريرية للجيش السوفييتي باوضح صورها في سنوات الحرب العالمية الثانية . فقد خلقت القوات السوفييتية باسهامها بنصيب حاسم في سحق المؤسسة العسكرية الفاشية الالمانية والعسكرية اليابانية ، خلقت بانتصاراتها ظروف ملائمة الى حد بعيد لنمو حركة التحرر مما أدى الى وقوف عدد من بلدان اوروبا واسيا على طريق التطور الحر ثم ادى بها هذا الطريق الى الاشتراكية موضوعيا . فقد تم في هذه البلدان تحطيم قوى الرجعية الداخلية المتعاونة مع الفاشية . واعاقت القوات السوفييتية تصدير الثورات المضادة الى هذه البلدان بحمايتها من التدخل الاجنبى . وفي هذا يكمن الفضل التاريخي العظيم للقوات المسلحة السوفييتية تجاه النظام الاشتراكي العالمى وتجاه كل البشرية التقدمية .

لقد ازدادت في الظروف المعاصرة امكانيات الاتحاد السوفييتي في تقديم التأييد للثوارين والحركة الثورية وحركة التحرر الوطنى . وتسهم الدولة السوفييتية بنصيب لا يقدر في نضال الشعوب من اجل الحرية والاستقلال وذلك عن طريق ردع الدعاوى العدوانية للامبريالية ضد الدول النامية الفتية ، وتقديم المعدات الضرورية لها تلبية لطب حكوماتها ، ومساعدة هذه البلدان في اعداد كوادرها القومية .

وتزداد في الوظيفة الخارجية لجيش الدولة الاشتراكية اهمية الاتجاه الذى يقضي باحباط الخطط العدوانية للامبريالية الدولية ومنع نشوب حرب عالمية جديدة . وتنعكس في ذلك المهمة التاريخية للدول الاشتراكية في الدفاع عن السلام في العالم اجمع وما يرتبط به من سياسة التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .

وهكذا تتضح اماننا صورة ذات دلالة خاصة . فقد اصبح الجيش الذى كان طوال تاريخ مجتمع التناقضات اداة للحروب التدميرية التخريبية الاغتصابية ، اصبح فى ظل الاشتراكية اداة لمنع نشوب الحرب وعاملا من عوامل الحفاظ على السلام .

ان اقوة العسكرية لجيش الدولة الاشتراكية موجهة براس حريتها ضد القوى التي تولد العدوان والحرب .

ويدرك التقدميون فى العالم ان الحروب التي اجبرت قواتنا المسلحة على خوضها كانت حروبا من اجل قضايا عادلة وضد الروح العسكرية والعدوان الامبريالى . واصبح كل ذلك ممكنا لان التنظيم العسكرى الجديد الاشتراكى يوجد لا فى ايدى الطبقات الاستغلالية التي تتميز بسياسة اغتصاب اراض وثروات الغير ، وانما فى ايدى الطبقة العاملة وكل السكادحين ، اى الطبقات والفئات الاجتماعية التي تعتبر الحروب وسياسة استعباد الشعوب الاخرى غريبة عنها بطبيعتها .

هذه هى الاتجاهات الرئيسية للوظيفة الخارجية لجيش دولة المجتمع الاشتراكى المتطور .

ويسعى الايديولوجيون البرجوازيون بشتى الطرق الى تشويه اهم المبادئ النظرية للتعاليم الماركسية اللينينية حول الحرب والجيش، وجوهر جيش الدولة الاشتراكية ووظائفه ودوره الاجتماعى . ويركزون جهودهم الرئيسية على تشويه اهمية الدور القيادى للحزب الشيوعى السوفييتى فى البناء العسكرى . وليس هذا من باب المصادفة . فكم يود ايديولوجيون معاداة الشيوعية عن طريق تزوير الحقائق والافتراءات اضحشاف دوره القيادى فى المجال العسكرى وذلك لعلهم بالدور الهائل الذى يقوم به حزبنا فى كل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلاد .

ولكن الحياة والواقع الاجتماعى يكشفان القناع عن افتراءات ايديولوجى البرجوازية ويفندان البراهين المختلفة لاصحاب نظريات الامبريالية . ويرجع ازدياد دور الحزب الشيوعى والاهمية الكبيرة لقيادته على اساس علمى لكل مجالات الحياة الاجتماعية الى تعقد العمليات التي تجرى فى المجتمع الاشتراكى واتساع نطاق البناء الشيوعى وسرعة معدلات بناء المجتمع الجديد . ويتطلب كل ذلك بعد رؤية نظرية ومرونة دياكتيكية ومبدئية طبقية وهو مالا يقوى عليه سوى الحزب اللينينى وحده . وينطبق ذلك ايضا على المجال العسكرى . ان النجاح فى تنفيذ المهمة الرئيسية للقوات المسلحة للاشتراكية ، وهى الاستعداد القتالى الدائم ، لا يمكن ان يكون الا على اساس التحقيق الكامل لتوجيهات وقرارات الحزب وقيادته النضالية ، اى اللجنة المركزية اللينينية .

ويرتبط ازدياد دور واهمية قيادة الحزب فى البناء العسكرى بمسائل

ذات طابع علمي تكنولوجي الى جانب الاسباب الاخرى . والحديث يدور هنا حول نتائج ثورة العلم والتكنولوجيا التي لا مثيل لها من حيث المدى والعمق . فقد كان من المهم بصفة خاصة في الظروف الجديدة تحديد اتجاهات التطور العسكري التكنيكي في المستقبل وتحديد نتائج السليمة بين مختلف عناصر هيكل الجسم العسكري الواحد وتقدير نتائج احداث انجازات العلم والتكنولوجيا وذلك انطلاقا من القاعدة النظرية للماركسية اللينينية . وبفضل اهتمام الحزب بالذات والجهود البطولية للشعب عامة نجد ان الجيش والاسطول السوفييتي مزودان اليوم باحدث وسائل خوض الحروب . والى جانب ذلك يعمل الحزب على ان يصاحب عملية تطوير قاعدة معدات الجيش تطبيق الاسس العلمية في كافة مجالات النشاط العسكري على نطاق واسع . لقد اصبح العلم في الواقع الآن من بين اهم مكونات القدرات القتالية للقوات المسلحة .

والشعب والجيش في مجتمعنا تربط بينهما وحدة وثيقة ، وتتسم التربية الفكرية لكل الكادحين بما في ذلك الجنود السوفييت على اساس واحد هو الماركسية اللينينية وتحت قيادة الحزب الشيوعي . ويتأتى على الحزب في هذا النشاط الاخذ بعدد من الظروف الهامة ، وفي مقدمتها : ان صفوف الجيش في السنوات الاخيرة تتألف من بين الشباب الذين ولدوا في الفترة التي كانت البلاد قد ضمدت جراحها الناجمة عن الحرب بصورة اساسية ، والمنضمون الى صفوف القوات المسلحة ليست لديهم خبرة سابقهم . والى جانب ذلك تتميز المرحلة الحالية باتساع مدى الحرب الفكرية التي شملت العالم اجمع حيث تعتبر الجبهة الايديولوجية جبهة عاملة باستمرار وقطاعا حادا للصراع بين الراسماليه والاشتراكية .

ويرى الحزب الشيوعي السوفييتي في الجنود السوفييت ووطنيين اوفياء للوطن الاشتراكي يؤمنون بالاممية وقادرين على القيام بواجبهم في الدفاع عن المنجزات العظيمة للاشتراكية حتى النهاية .



٢٣ فبراير
عيد الجيش
السوفييتي

دور القوات المسلحة في تحطيم الفاشية

بقام: أ. كوركيشكين

كان أول إجراء تشريعي أعلن تشكيل الجيش الأحمر الجديد للعمال والفلاحين في روسيا السوفيتية هو الوثيقة التي كتبها في ١٠ لينين « إعلان حقوق الشعب الكادح والمستغل » .

وقد جاء فيها « ٠٠٠ من أجل ضمان وجود السلطة بشكل كامل في أيدي الجماهير الكادحة ، ولتأمين أية فرصة لاستعادة الاستغلايين لسلطتهم » يعلن تسليح الكادحين ، وتشكيل الجيش الأحمر الاشتراكي للعمال والفلاحين ، وتجريد الطبقات المالكة من أسلحتها بالكامل » . وفي ١٥ يناير وقع لينين ، رئيس الحكومة السوفيتية - مجلس مفوضي الشعب ، مرسوم تشكيل جيش العمال والفلاحين الأحمر . وأصدر مجلس مفوضي الشعب في ٢٩ يناير قرارا بشأن تنظيم الاسطول الاشتراكي الأحمر للعمال والفلاحين .

وفي هذه الايام كان يخيم على جمهورية السوفييتيات الفتية خطر ماحق . ففي ١٨ فبراير ١٩١٨ ، شنت قوات قيصر المانيا ، هجوما على طول الجبهة الروسية الالمانية خارقة بذلك شروط اتفاقية الهدنة التي عقدت في ٢ ديسمبر ١٩١٧ . وكانت الضربة الرئيسية موجهة على محصور بتروجراد . اما حسابات القيادة الالمانية فكانت مبنية على أساس الاستيلاء بسرعة على مهد ثورة الكتوبر الاشتراكية - بتروجراد ، والتوصل لتحقيق الهدف الرئيسي - اسقاط السلطة السوفيتية في روسيا .

وهنا تتخذ اللجنة المركزية للحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية وعلى رأسها لينين اجراءات استثنائية عاجلة لتنظيم ردع العدو . الا أن القوات الالمانية استمرت في زحفها مستغلة في ذلك تفوقها العددي والفني وفي ٢١ فبراير توجه مجلس مفوض الشعب بنداثة « الوطن الاشتراكي في خطر ! » الذي كتبه لينين راستنفر العمال والفلاحين للدفاع المستميت عن جمهورية السوفييتيات .

واستجابت الطبقة العاملة لنداء الحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية بسيول من المتطوعين في صفوف الجيش الاحمر ، وانعقدت اجتماعات عامة بالالاف المؤلفة في يومي ٢٢ و ٢٣ من فبراير في بتروجراد ، وموسكو وغيرها من المدن . وأعلن مجلس سوفييت بتروجراد يوم ٢٣ فبراير كيوم للدفاع عن الوطن الاشتراكي وتعبئة الاحتياطي الجماهيري للمتطوعين في الجيش الاحمر . وفي البلاد كلها ، وخصوصا من المدن الكبرى والمناطق المتاخمة للجبهة ، تشكلت على عجل الافواج والفصائل الثورية وأرسلت الى المعارك ، وأصبحت المقاومة التي يواجهها العدو أكثر عنادا . واشتعلت على طول الجبهة معارك ضارية .

أما الجيش الاحمر الذي كان قد تشكل لثوه ، فأخذ يظهر منذ أولى معاركه بسالة وثباتا استثنائيين .

وسرعان ما أوقف الامبراليون الالمان الاعمال الحربية بعد ان تأكدوا من العزم الاكيد لكادحي روسيا السوفيتية على الذود بأى ثمن عن الحرية التي اكتسبوها . وفي الثالث من مارس ١٩١٨ تم في بريست التوقيع على معاهدة الصلح .

وتخليدا للنهضة الجماهيرية للشعب السوفيتي دفاعا عن الوطن الاشتراكي ، وللمقاومة البطلة التي أبدتها فصائل الجيش الاحمر في وجه الغزاة الالمان يحتفل بيوم ٢٣ فبراير من كل عام ، عيدا للجيش السوفيتي وكان يسمى عيد الجيش الاحمر حتى ١٩٤٦ .

دور القوات المسلحة السوفيتية في تحطيم الفاشية

١ في الحرب العالمية الثانية :

في ٢٢ يونيو ١٩٤١ هاجمت ألمانيا الفاشية الاتحاد السوفيتي بغدر ودون اعلان حرب . وهكذا بدأت الحرب الوطنية العظمى . وقد كانت حربا عادلة من اجل الحرية والاستقلال ضد أعنى اعداء الاشتراكية . ان الفاشية الالمانية التي كانت تمثل دكتاتورية صريحة لاكثر دوائر رأس المال الاحتكاري عدوانية ، شنت في ٢٢ يونيو ١٩٤١ الحرب على الاتحاد السوفيتي بهدف القضاء على أول دولة اشتراكية في العالم وبهدد استعباد الشعب السوفيتي ، وفتح الطريق امام السيطرة على العالم .

لقد اعتبرت الحرب الوطنية العظمى جزء « مكونا » للحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ وانتهت بالهزيمة الساحقة لالمانيا الهتلرية واليابان الامبريالية ، الفصيلتين الضاربتين للامبريالية العالمية ، وحسن اظم قوى أوروبا وآسيا وأكثرها رجعية . وفي هذه الحرب التي كانت اكثر حروب تاريخ البشرية كله إسالة للدماء وأكثرها تدميرا ، ذاد الاتحاد السوفيتي عن المكشبات الاشتراكية ، وعن انظام الاجتماعي التقدمي ، ودافع عن حريته واستقلاله .

لقد جذبت الحرب العالمية الثانية الى مدارها غالبية دول الكرة الارضية اذ شارك فيها ٦١ دولة ، بلغ تعداد سكانها ١٧٠٠ مليون نسمة ، أي ثلاثة أرباع البشرية جمعاء .

وتحملت الدول التي شاركت في الحرب خسائر بشرية ومادية فادحة . وكان ما أصاب الاتحاد السوفيتي من هذه الخسائر كبيرا بنوع خاص ، اذ وقع عليه العبء الرئيسي في النضال ضد ألمانيا الهتلرية . وفقد الشعب السوفيتي ٢٠ مليون شخص استشهدوا مما يشكل ٤٠٪ من كل الخسائر البشرية في الحرب العالمية الثانية . كما تقدر خسائر الاتحاد السوفيتي المادية اجماليا ب ٢٢٦ تريليون روبل ، أي ٦٥٪ من كل ماتحملته البشرية من مصروفات وخسائر في هذه الحرب .

وتم احراز النصر على ألمانيا الفاشية وحلفائها بالجهود المشتركة لدول التحالف المعادي للفاشية ، ولكل الشعوب التي ناضلت المحتلين وخدامهم . ولكن الاتحاد السوفيتي وقواته المسلحة ، لعبت الدور الحاسم في تحطيم الفاشية الالمانية والامبريالية اليابانية . فما أن هاجمت ألمانيا الفاشية الاتحاد السوفيتي ، حتى تغير الطابع السياسي للحرب العالمية الثانية التي اتخذت في المقام الاول شكل الصراع الطبقي الحاد بين النظامين الاجتماعيين

— الرأسمالية والاشتراكية • وهذا ما حدد الطابع الضارى الذى لا يقبل المحلول الوسط للمعارك على الجبهة السوفيتية الالمانية • وقصمت القوات المسلحة السوفيتية أثناء النضال الدموى الطويل ظهر الوحش الفاشى ، وحطمت قوات الجيش الالمانى الاساسية والاكثر اعدادا وتدريباً •

كانت الجبهة السوفيتية الالمانية اهم جبهات الحرب العالمية الثانية • فعليها تركزت على امتداد السنوات ١٩٤١ — ١٩٤٥ الحشود الاساسية لقوات المانيا الفاشية المسلحة • فمثلا ، منذ شهر يونيو ١٩٤١ ، حتى بداية عام ١٩٤٤ ، كان يعمل على الجبهة السوفيتية الالمانية من ١٥٣ الى ٢٠١ فرقة المانية ، أو ثلثا تشكيلات القوات البرية للجيش الهتلرى • وكان يخوض المعارك ضد القوات الامريكية والانجليزية فى ذلك الحين ، ما يتراوح بين فرقتين الى ٢٤ فرقة المانية ، أى ما يشكل مجرد ٩٠ ٪ الى ٦٦ ٪ من التعداد الكلى لتشكيلات القوات البرية الالمانية • وفى الحقيقة فقد كان يحارب القوات الامريكية والانجليزية فى تلك السنوات من ٣٨ الى ٨٦ فرقة ايطالية ، الا أن الاتحاد السوفيتى كان يواجه من ٣٧ الى ٧٣ فرقة من اذئاب المانيا كانت تحاربه أيضا •

ان فتح الجبهة الثانية فى غرب أوروبا (يونيو عام ١٩٤٤) استدعى تغييرا فى تناسب الفرق الالمانية التى كانت تدافع على كل من الجبهة السوفيتية الالمانية وجبهة غرب أوروبا ، ولكنه لم يغير من أهمية الجبهة السوفيتية الالمانية كجبهة رئيسية فى الحرب •

وكانت تحارب الجيش السوفيتى فى يوليو عام ١٩٤٤ ، ١٧ فرقة ألمانية ، ٦٠ فرقة من توابع المانيا • كما كان يواجه قوات حلفائنا فى غرب أوروبا ١٢٥ فرقة ألمانية •

وقبل المعركة الختامية فى عام ١٩٤٥ ، واجهت القوات السوفيتية ١٧٩ فرقة ألمانية و ١٦ فرقة مجرية ، أما القوات الامريكية والانجليزية فكانت تواجه ١٠٦ فرقة ألمانية •

تحدد الاهمية الحاسمة للجبهة السوفيتية الألمانية ليس فقط لانه واجدت عليها خلال الحرب كلها القوات الاساسية للجيش الالمانى • فعلىنا ان نأخذ فى الاعتبار أيضا ان العمليات العربية الحربية على الجبهة السوفيتية الالمانية كانت تحمل طابعا استثنائيا فى شدتها • فلقد تميزت بالنطاقات الضخمة فى مساحات ميادينها ، وبطول زمنها وبنشاطها وضراوتها • أضف الى ذلك ، ما تشهده به وثائق العدو التى تم الاستيلاء عليها من أن القوات السوفيتية كانت تحارب أكثر الفرق المعادية مقدرة على القتال • ان القوات المسلحة الضخمة للعدو ، وفى المقام الاول قسمها الاساسى — القوات البرية ، كانت قد سحقته فى معارك الشرق •

قامت القوات المسلحة السوفييتية على امتداد الحرب بتحطيم وأسر ٦٠٧ فرق للمحور الفاشي ، على حين أن القوات الامريكية والانجليزية حطمت في غرب أوروبا وشمال افريقيا وإيطاليا ١٧٦ فرقة معادية . وتم على الجبهة السوفييتية الالمانية القضاء على ثلاثة أرباع الطيران الالمانى ، وعلى جزء كبير من المدفعية والدبابات . وفقد العدو هناك ١٠ ملايين نسمة ، وهم ثلاثة أرباع خسائر ألمانيا من القتل والاسرى والجرحى فى الحرب العالمية الثانية ، وهى خسائر قدرت بـ ١٣٦ مليون نسمة .

ان الاهمية الحاسمة لنضال الاتحاد السوفييتى ضد المانيا الفاشية ، فى تحديد مصير العالم ، قد أجبرت فى حينه الزعماء القيايين فى الدول الغربية على الاعتراف علنا بها . فمثلا فى أيام شهر مايو ١٩٤٢ ، الايام العصية على الاتحاد السوفييتى ، أبرق روزفلت رئيس الولايات المتحدة الى الجنرال ماك آرثر يقول : « من وجهة النظر الاستراتيجية الكبرى ، تظهر جلية الحقيقة البسيطة وهى أن الروس يقتلون عددا أكبر من جنود العدو ، ويحطمون له أسلحة أكثر وذخائر أكثر مما تقوم به الخمس والعشرين دولة من الامم الحليفة الباقية مجتمعة . » (١) كما أشار ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا فى رسالته الى ستالين رئيس الحكومة السوفييتية بتاريخ ٢٧ سبتمبر عام ١٩٤٤ الى ان « الجيش الروسى بالذات هو الذى بفرأ معاء الماكينة العسكرية الالمانية » .

والحق الجيش الاحمر هزيمة كبرى أيضا بالقوات المسلحة لليابان فخلال الحملة القصيرة فى أغسطس عام ١٩٤٥ تم تحطيم جيش كوانتون الذى كان محط الفخار : ففقد أكثر من ٦٧٧ ألف جندي وضابط ، غالبيتهم وقموا فى الاسر . ان التحطيم الساحق لجيش كوانتون قد اعتبر أحد العوامل التى أدت الى استسلام اليابان .

ولقد تم التوصل للانتصار على العدو المحنك ، والمسلح فنيا ، بواسطة جهود كل أنواع القوات المسلحة وأصنافها .

ان جنود المشاة والطيارين وجنود المدفعية والدبابات وجنود الدفاع اسجوى والبحارة العسكريين ، والمحاربين من كل اصناف القوات قدأظهروا فى معاركهم مع الغزاة الفاشست آيات البطولة الجماعية ، والرجولة والبسالة . ولنورد بعض الامثلة فقط .

فى خضم المعارك الضارية مع الطيران الفاشي ، أسقط كل من ١٣٧ طيارا سوفييتيا من ٢٠ الى ٣٠ طائرة المانية ، و ٢٥ طيارا من ٣٠ الى

(١) نيويورك تايمز ، ٢٠/١٠/١٩٥٥ ، ص ١٠ .

٤٠ طائرة لكل ، وأسقط الطيار كوجيدوب ٦٢ طائرة المانية والطيار
يوكويشكين ٥٩ طائرة ، ويفستيجنيف وريتشمكالوف ٥٦ طائرة لكل منهم،
والطيار جولاييف ٥٣ طائرة ، وجلينكا ٥٠ طائرة . وأسقط كل واحد من
الطيارين فوروجيكن وكولونوف وسكوموروخوف ٤٦ طائرة .

وقام مقاتل « الحرس » الكسندر ماتردسوف في ٢٣ فبراير عام
١٩٤٣ ، في المعركة عند قرية تشيرنوشكا بمائرة خالدة . فلكي يعطي
لكتيبته الفرصة للنهوض الى الهجوم ، غطي بجسمه كوة دشمة مدفع رشاش
معادية . وأطلق على الفوج الذي كان ماتردسوف أحد أفرادها اسم البطل.
أما هو فقد سجل للابد في قائمة هيئة السرية الاولى للفوج . وفي سنوات
الحرب التالية كرر هذه المأثرة أكثر من ٢٠٠ من المقاتلين السوفييت .

لقد منحت لقاء المآثر والبطولات التي أبدت في المارك مع الغزاة الالمان
الفاشست والامبرياليين اليابانيين ٥٣٠٠ ألف وسام ، وأكثر من ٧٥٨٠
ألف ميدالية قتالية . كما استحق أعلى درجات الامتياز ، أتم بطل الاتحاد
السوفييتي أكثر من ١١٥ ألف شخص ، منهم ١٠٤ أشخاص حصلوا عليه
مرتين ، وثلاث أشخاص حصلوا ثلاث مرات ، وهم : مارشال الاتحاد
السوفييتي سيميون بوديوني ، والطيار المقاتل ايفان كوجيدوف ، والكسندر
يوكريشكين ، وحصل عليه أربع مرات مارشال الاتحاد السوفييتي جورجي
زوكوف . ومن بين الحائزين على الأوسمة والميداليات من رجال الجبهة
في سنوات الحرب - ممثلوا أكثر من مائة قومية .

لقد حصل الاتحاد السوفييتي في الحرب الوطنية العظمى (١٩٤١ -
١٩٤٥) لا على النصر العسكري وحده ، بل أيضا على انتصار اقتصادي على
المانيا الفاشية . فانه باعتماده على مزايا نظام المجتمع والدولة فيه ، تمكن
الاتحاد السوفييتي خلال فترة زمنية قصيرة من إعادة بناء اقتصاده الوطني
وفق متطلبات الحرب ، ومن تركيز الموارد المادية لحل المهمة الرئيسية -
التوصل للانتصار على العدو .

وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفييتي كان يملك في سنوات الحرب من
الصلب ما يوازي حوالى ثلث أو ربع ما كان لالمانيا ، ومن الفحم ما يقل
بمقدار ٣ - ٣٥ مرة ، فانه أنتج حوالى ضعف ما أنتجه العدو من السلاح
والمعدات القتالية واستخدمت البلاد السوفييتية ٨ - ١١ مليون طن من
انتاجها السنوي من المعادن بفاعلية تزيد عن فاعلية ٣٢ مليون طن منظر
في المانيا .

وخلال الفترة ما بين الاول من يوليو عام ١٩٤١ و ٣٠ يونيو عام
١٩٤٥ أنتج الاتحاد السوفييتي أكثر من ٩٥ ألف دبابة ومدفع ذاتي الحركة

بحوالى ٩٨ ألف مدفع ميدان واكثر من ١٠٨ الاف طائرة قتالية ، واكثر من ٦ ملايين رشاش خفيف على حين أن المانيا انتجت فى انفترة نفسها ٥٣٨٠٠ دبابة ومدفع ذاتى الحركة ، وحوالى ٤٥ ألف مدفع ميدان و ٧٨٩٠٠ طائرة قتالية .

كان لانتصار الاتحاد السوفييتى فى الحرب الوطنية العظمى فى اعوام ١٩٤١ - ١٩٤٥ أهمية تاريخية عالية . وكان من أهم نتائج هذا الانتصار بنتاج الحركة الثورية الهائلة التى استمرت فى نهاية الحرب وفى السنوات الأولى بعدها فى كل من أوروبا وآسيا ، تكون الاسرة الاشتراكية العالمية .

أما النتيجة التالية فى أهميتها من حيث القيمة التاريخية التى أعقبت تحطيم ألمانيا الفاشية واليابان العسكرية فكانت هى النهضة العارمة لحركة التحرر الوطنى فلقد انطلقت على نطاق واسع حركة التحرر الوطنى فى الهند وبورما وسيلان والفيلبين والملايو وكامبوديا ولاوس واندونيسيا وغيرها من البلدان التى كانت واقعة تحت الاستعباد . وأعلنت فى عام ١٩٤٥ جمهورية فيتنام الديمقراطية . ولقد شهد كل هذا على بداية سقوط النظام الاستعمارى . وانفرجت أمام كل الشعوب المظلومة إمكانيات جديدة لى اكتساب الحرية والاستقلال .

● رسالة الجيش السوفييتى التحريرى خلال

● الحرب الوطنية العظمى (١٩٤١ - ١٩٤٥)

لم تكنف القوات المسلحة السوفييتية فى سنوات الحرب الوطنية العظمى بالود عن شرف واستقلال وطنها فحسب ، بل لقد حققت كذلك رسالة تحريرية عظمى ، مدت يد العون المباشر لشعوب أوروبا وآسيا - ضحايا العدوان ، فى استعادة حرياتهم وسيادتهم . ولذا كان حقا ان يسمى الجيش السوفييتى بالجيش التحريرى .

لقد أدركت الشعوب المستعبدة فى أوروبا ، انها فقط بتحالفها مع الاتحاد السوفييتى تستطيع التوصل الى التخلص من نير الفاشية . وكان كل انتصار للجيش الاحمر يبعث فى قلوب الناس الايمان بالتحرير ، ويرفع من روح المقاومة فى البلدان المحتلة ، ويلهم الالوف من الوطنيين الاعمال النشيطة ضد الغزاة .

فى الوقت الذى كان فيه مقاتلو الجيش السوفييتى ، يسحقون الفرق الهتلرية فى خضم أكثر المعارك صرامة من اجل تحرير وطنهم ، كانوا ايضا

يمدون يد المساعدة لشعوب أوروبا التي كانت تناضل ضد « النظام الجديد » الفاشي .

وكان الجيش السوفييتي قد طهر تماما تقريبا أرضه العزيزة من الغزاة الألمان الفاشيست قبل منتصف عام ١٩٤٤ ، وتقل عملياته الحربية إلى خارج حدود الاتحاد السوفييتي . وبدأت مسيرة التحرير العظمى . وأدرك المقاتلون السوفييت بوضوح واجبهم الأسمى ، وفهموا أهمية رسالة عظمى أصبحت من نصيبهم ، وسعوا لكي يكونوا جديري بها .

وما إن حل شهر يوليو - أغسطس عام ١٩٤٤ ، حتى كانت القوات السوفييتية قد حررت الأراضي البولندية الواقعة على الضفة الشرقية من نهر فيسلا ، التي تشكل ربع أراضي بولندا ، وحررت من الاستعباد الفاشي ٥ ملايين نسمة . وفي بداية عام ١٩٤٥ أنزلت القوات السوفييتية ضربات ساحقة جديدة بالعدو ، وفي ١٧ يناير حررت العاصمة البولندية وارسو . وحارب معها كتفا إلى كتف مقاتلو الجيش البولندي الأول . وبعد ذلك أتمت القوات السوفييتية بالعمل المشترك مع القوات البولندية الشعبية تحرير كل أراضي بولندا . ولقد جاء في البرقية التي بعثتها الحكومة البولندية إلى القيادة العامة العليا السوفييتية « أن الشعب البولندي لن ينسى أبدا أنه قد حصل على الحرية وأمكانية استعادة استقلال كيانه دولته بفضل الانتصارات الباهرة للسلاح السوفييتي ، وبفضل ما أراقه المناضلون السوفييت من دماء غزيرة » .

• • • لقد أصبحت الأرض البولندية مئوى رفات ٦٠٠ ألف مقاتل سوفييتي .

كان وصول القوات السوفييتية للحدود السوفييتية الرومانية في ربيع عام ١٩٤٤ ، قد غير من جذور الموقف في رومانيا ، التي أقحمها حكامها الرجعيون في حرب ضد الاتحاد السوفييتي . وفي ظروف الهجوم العارم للجيش السوفييتي فوق الأرض الرومانية هبت القوى الوطنية الشعبية في رومانيا تحت قيادة الحزب الشيوعي الروماني في ٢٣ أغسطس عام ١٩٤٤ ، لانتفاضة أسقطت دكتاتورية أنطونيسكو الفاشية . وخاضت القوات الرومانية بالاشتراك مع القوات السوفييتية نصالا ضد الجيش الهتلري ، وإعلنت رومانيا الحرب على ألمانيا .

وأثر ظهور الجيش السوفييتي في شبه جزيرة البلقان تأثرا حاسما على الأوضاع في بلغاريا كذلك . إذ إن حكامها الملكيين الفاشيست . تعلمهم بالتعاطف الحار الذي يكنه الشعب البلغاري للبلاد السوفييتية لم يغامروا بمحاربة الاتحاد السوفييتي ، ولكنهم كانوا يساعدون ألمانيا الهتلرية بشتى الطرق . ودخلت القوات السوفييتية أراضي بلغاريا في ٨ سبتمبر ١٩٤٤ . وفي اليوم التالي اشتعلت في العاصمة صوفيا

انتفاضة مسلحة كان قد أمدّها حزب العمال البلغاري ، وأعلنت حكومة الجبهة الوطنية التي تسلمت مقاليد السلطة ، الحرب على المائيسب الفاشية .

وقد تطلب النضال من أجل تحرير المجر من الطغيان الفاشي ، تطلب الجهود الجديدة والكثير من الضحايا من المقاتلين السوفييت . وفي ١٣ فبراير ١٩٤٥ ، وبعد حوالي شهر ونصف من المعارك الضارية ، تم تحرير عاصمة المجر بودابست ، أما في ٤ إبريل فقد انتهت القوات السوفيتية من تحرير كل البلاد من الغزاة الهتلريين .

إن هزيمة القوات الألمانية الفاشية في الجناح الجنوبي من الجبهة السوفيتية الألمانية أجبرت القيادة الهتلرية على البدء في سحب قواتها من اليونان وإيطاليا . وخلق هذا الظروف الملائمة لانجاح عمليات جيش التحرير الإلباني الشعبي ، الذي أتم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٤ تحرير البلاد من الفاشيين الفاشيست .

وقدمت القوات المسلحة السوفيتية يد العون الأخرى للشعب اليوغوسلافي في فضاله التحريري ضد المحتلين الهتلريين وخدامهم . وحتى قبل دخول القوات السوفيتية أراضي يوغوسلافيا ، كان الاتحاد السوفيتي يساعد الوطنيين اليوغوسلاف بمسدهم بالأسلحة والذخائر وغير ذلك . وفي نهاية شهر سبتمبر ١٩٤٤ ، عبرت القوات السوفيتية الحدود اليوغوسلافية بناء على طلب حكومة يوغوسلافيا الشعبية ، وذلك لمساعدة جيش التحرير الشعبي اليوغوسلافي في تطهير البلاد من المحتلين . وفي أكتوبر عام ١٩٤٤ ، تم تحرير المناطق الشرقية من يوغوسلافيا ، وعاصمتها بلجراد ، وذلك نتيجة لعملية بلجراد الهجومية التي نفذتها القوات السوفيتية واليوغوسلافية والبلغارية .

لقد أدت النجاحات القتالية للجيش السوفيتي إلى نهضة وطنية هائلة في تشيكوسلوفاكيا . ففي أغسطس عام ١٩٤٤ ، اشتعلت انتفاضة شعبية في سلوفاكيا . وقدمت القوات السوفيتية المساعدة للمشاركة في هذه الانتفاضة بواسطة عملياتها الهجومية . فنقلت إلى منطقة الانتفاضة الأفراد والأسلحة والذخائر . وفي شتاء ربيع عام ١٩٤٥ قام الجيش السوفيتي بالعمل المشترك مع الفيلق التشيكوسلوفاكي الأول بطرد الهتلريين من المناطق الشرقية والمركبة والجنوبية في تشيكوسلوفاكيا . وفي الوقت الذي كانت فيه القوات السوفيتية قد أتمت عملية برلين ، كان تجمع ضخم من القوات الألمانية الفاشية لا يزال في تشيكوسلوفاكيا . وفي ٥ مايو عام ١٩٤٥ بدأت في براغ الانتفاضة

المسلحة التي ترأسها الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكى . واشتعلت معارك ضارية فى شوارع المدينة . وتوجه المشاركون فى الانتفاضة يطلب المساعدة من القوات السوفيتية عن طريق الاذاعة فدخل براغ جيشان سوفيتيان للدبابات فى فجر ٩ مايو بعد مسيرة عارمة من ضواحي برلين عبر جبال سوديت ، واقتلوا المدينة من الدمار . ونتيجة لعملية براغ التي دارت من ١٦ الى ١١ مايو عام ١٩٤٥ ، حطمت مجموعة جيوش الوسط الالمانية ، وتم تحرير تشيكوسلوفاكيا من نير الفاشية . لقد جاد أكثر من ١٤٠ ألف مقاتل سوفيتي بحياتهم فى سبيل تحرير تشيكوسلوفاكيا .

كان لانتصارات القوات المسلحة السوفيتية التأثير الحاسم على مصير الشعب الفنلندى . اذا أعلنت الحكومة الفنلندية خروجها من الحرب فى جانب الالماني . وفى ١٩ سبتمبر عام ١٩٤٤ تم التوقيع على اتفاقية الصلح . وقد ابدى الاتحاد السوفيتى بجلء ، رغبته المخلصة فى اقامة علاقات حسن الجوار مع الشعب الفنلندى . وبعد ان حطمت القوات السوفيتية فى نفس هذا العام القوات المعادية فيها فيما وراء الدائرة القطبية ، فانها طردت المحتلين من شمال النرويج ، وحررت جزءا من اراضى الدانمرك .

وفى ربيع عام ١٩٤٥ ، دخلت القوات السوفيتية اراضى النمسا مواصلة مسيرتها التحررية . وفى ١٣ ابريل ظهرت فيينا عاصمة النمسا من العدو . وساعد الاتحاد السوفيتى الشعب النمساوى على استرداد الاستقلال والسيادة . كما حررت القوات المسلحة السوفيتية من نير الهتارية الشعب الالماني نفسه .

وفى اغسطس ١٩٤٥ ، حطمت القوات المسلحة السوفيتية جيش كوانتونج ، وبذلك ساعدت شعبي الصين وكوريا على التخلص من المتخلفين اليابانيين وبتحطيم الالماني الفاشية واليابان العسكرية ، فصيلتى الامبريالية العالمية الضاربتين ، سقطت نجمة الحرية فى سماء الشرق العربى والهندي والهند الصينية واندونيسيا ، واهتزت اركان الاستعمار فى افريقيا .

وجهة نظر...

شمن العلاج في ظل الرأسمالية

أصبح في استطاعة العمال البريطانيين أن يحصلوا على العلاج الطبي المجاني . ولا يمكن اعتبار مثل هذه المنجزات أمرا يرجع الى الرعاية المرفهة الانسانية من جانب النظام الرأسمالي ، ولكنها ترجع في الحقيقة الى المعارك الطبقة الطويلة التي شنها الشعب العامل ، والتي يمكن أن نجد شبيها لها في البلدان الرأسمالية الأخرى أيضا .

ومع ذلك ، فإن هذا لا يغير كثيرا من الصورة التشاؤمية للرعاية الصحية في البلدان الرأسمالية المتطورة .

ففي الولايات المتحدة الأمريكية ازداد ما يتفقه المواطنون الأفراد على العلاج الطبي في ٢٥٩٠٠ مليون دولار في عام ١٩٦٠ الى ١٦٠٠٠٠ مليون دولار في عام ١٩٧٧ . وهذا يعني زيادة تقدر بـ ٦ أضعاف . وقد أصبح الآن ما يتفقه الفرد الواحد يزيد عن ٧٠٠ دولار . ولكن من الخطأ أن يعتبر هذا دليلا على تحسن الأحوال الصحية للناس في الولايات المتحدة حيث أن هذه الزيادة ترجع الى الارتفاع الكبير في تكاليف الرعاية الطبية . وهناك من الأرقام ما يوضح ذلك : كانت تكاليف

تتأثر وتضار مستويات المعيشة للشعب العامل في البلدان الرأسمالية حيث يسيطر القطاع الخاص على العلاج الطبي . ويصبح تحقيق الربح الوسيلة لأثراء البعض بينما يجلب الفناء والتعاسة للآخرين .

وفي أكتوبر ١٩٧٧ نشرت جريدة « فينانتشال تيمز » التي تتحدث باسم كبار رجال الأعمال في بريطانيا مقالا ادعت فيه أن الرعاية الصحية في البلدان الرأسمالية المتطورة المنتمية الى « منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية » تشهد الآن عصرها الذهبي . وأقتبست الجريدة - في مجال تدعيم وجهة نظرها هذه - عددا من البيانات الرسمية حول زيادة الاعتمادات المخصصة للصحة في هذه البلدان .

ولا جدال أن بريطانيا أقدم البلدان الرأسمالية ذات تقاليد الصراع الطبقي الطويل والعنيد لتحسين الأحوال الاجتماعية للشعب العامل تدار فيها شؤون الرعاية الصحية على أساس أفضل من بلدان أوروبا الغربية الأخرى . فمُنذ إقامة الخدمة الوطنية الصحية في عام ١٩٤٧

المريض في الزيارة الثانية التي يقوم بها للطبيب الجراح أو طبيب العيون ، وكذلك ارتفع الى عشر اضعاف الرسم الذي يدفعه المريض في حالة زيارته او طلبه الطبيب في ظرف طارئ او عاجل . وفي عام ١٩٧٦ ارتفعت تكاليف الرعاية الطبية بما يوازي ١٠ ٪ وارتفعت ايضا اثمان الدواء .

وفي فرنسا بعدد بعض الاطباء الى الانشاء عن طريق استغلال المرضى . واصبحت تكلفة الإقامة اليومية في قسم الجراحة التابع لحد مستشفيات الدولة تصل الى ٦٩٥ فرانك يضاف اليها ١٠ ٪ اتعاب الطبيب وللأختبارات البيولوجية والجراحة . وتبلغ تكلفة الإقامة في مستشفى خاص ٨٦٩ فرانك يضاف اليها ١٠ ٪ أخرى لتغطية الاحتياجات الأخرى ولا ينكر أحد ان التامين الإجتماعي يغطي جزءا من هذه التكاليف . ولكن من المسلم به ايضا ان هناك مبالغ كبيرة يتحصل عليها الأطباء غير الشرفاء عن طريق هذا النظام وهم يتحصلون على رواتب تتراوح بين ١٢٠٠٠ فرانك و ٢٣٠٠٠ فرانك شهريا بخلاف الاتعاب الإضافية . وعلى سبيل المقارنة يمكننا ان نشير الى الحد الأدنى الرسمي لأجر مكات الالوف من العمال الفرنسيين الذي لم يتجاوز ٢٢٠٠ فرانك شهريا في ١٩٧٧ .

وفي جمهورية ألمانيا الاتحادية تضاعفت المساهمة التي يقدمها الضعف العامل فيما يسمى « بأرصدة المستشفيات » منذ عام ١٩٦٠ وفي عام ١٩٧٦ بلغت ما يعادل ١٣ ٪ من متوسط الأجر . وحسب ما تقول جرانك ألمانيا الغربية فان هذا الاتجاه اذا سمح له بالاستمرار فان هذه المساهمات ستصل الى ٨٠ ٪ من دخل الفرد في ألمانيا الغربية في عام ٢٠٠٠ .

وفي ايطاليا بالرغم من وجود مستشفيات الحكومية التي يدفع التامين الإجتماعي تكاليف العلاج الطبي فيها الا ان العيادات والمستشفيات الخاصة تلعب الدور الرئيسي . وقد اقام « البارونات الذكائرة » (الاطباء والاساتذة) مراكز قوى في ميدان

عملية المارة التي يجريها المواطن الأمريكي ٣٦١ دولارا في عام ١٩٥٠ واصبحت ١٦٠ دولارا عام ١٩٦٠ ثم ١٣٩٧ دولارا في عام ١٩٧٠ ثم ٢٠٢٨ دولار عام ١٩٧٧ . وفي الفترة ما بين ١٩٥٠ و ١٩٧٧ ارتفعت اجور الإقامة في المستشفى بما يساوي ١٠ اضعاف وبلغ اليوم ١٥٨ دولار في اليوم الواحد وحسب ما نقوله جريدته « نيويورك تيمز » نقلا عن « انترناشنال هيرالد تريبيون » في عددها الصادر في ٢ مايو ١٩٧٧ « فانه لن تمضي سنوات كثيرة حتى نرى اجر السرير الواحد في اليوم يصل الى ٥٠٠ دولار في ضوء ارتفاع التكاليف الذي يقدر بـ ١٥ ٪ سنويا » . وفي مؤتمر عقد عام ١٩٧٧ في واشنطن عن مشاكل الرعاية الصحية في الولايات المتحدة قالت إحدى المتحدثات وهي مكات جاتر « انها استلمت فاتورة بمبلغ ٤٤٠٠ دولارا خاصة بعلاج ابنتها . وهناك مثال آخر . طلبت مستشفى في نيويورك من أحد المرضى قضي شهران في المستشفى دفع فاتورة بمبلغ ٢٢١٤٧ دولار . واصبح من الامور العادية في الولايات المتحدة ان تدفع مبلغ يتراوح بين ١٢٥ و ١٥٠ دولار في مقابل زيارة أحد الاطباء للاستشارة الطبية . وتتخلل ملايين الدولارات في جيوب الاطباء الذين يكونون الثروات من التشخيصات والتحليل التي يجرونها على اشخاص يوهمون المرض .

وكما قالت جريدة « يونيتيستيس وورد ريبورت » في عددها الصادر في ٢٨ مارس ١٩٧٧ « فان الأمريكيين ثائرون على فوائد العلاج الطبية ذات الارقام الفلكية والتي تسبب المتاعب التي لا حد لها ولا نهاية لها لثلاثين الناس . والحقيقة ان الاطباء الذين يتبعون اساليب ملتوية وغيرهم من العاملين في دور الحضانة واصحاب معامل التحاليل والصيادلة يسلبون ذاقفي الضرائب ما يبلغ حوالي مليون دولار سنويا » .

وفي اليابان ترتفع باضطراد تكاليف العلاج الطبي . وسجلت مصاريف الرعاية الطبية في المستشفيات والعيادات اليابانية ارتفاعا يقدر بحوالي ١٩ ٪ في عام ١٩٧٤ ، وتضاعف ثلاث مرات الرسم الذي يدفعه

وفي فرنسا تشير الإحصائيات الرسمية (التي لا تعطى صورة كاملة) الى وصول ١٦١١١٣٤ مصابة عمل في مجال الصناعة في عام ١٩٧٥ ويشمل الرقم ١١٨٩٩٦ اصابة عمل جسيمة . وكما تقول جريدة « لومانتيه » في عيدها الصادر في ٢٥ فبراير ١٩٧٧ فإن الرقم الرسمي عن الوفيات ١٩٨٦ يجب ان يضاف اليه ١٢٠٩ عامل قتلوا في انشاء دهايبهم الى العمل . ويعني هذا ان ضحايا نظام العمل الراسمالي يزيد عن ٣٣٠٠ شخص .

وفي ايطاليا بلغ متوسط اصابات العمل ١٦٠٠٠ سنويا (او عشر اصابات كل دقيقة) ، ويشمل هذا الرقم عددا يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ حادثة وفاة و ٦٠٠٠٠ اصابة قصت الى العجز الكلي . وفي الفترة ما بين يناير ١٩٧٠ وديسمبر ١٩٧٥ توفى ٢٣٠٠٠ عامل (١٨ شخص يوميا) بفعل الامراض المهنية .

وفي الصيف الماضي نشرت ارقام عن معدلات الاصابة في الصناعات التعدينية في تسع دول اوروبية غربية في عام ١٩٧٤ . وتبين هذه الارقام ان الاصابات في كل مليون ساعة عمل (وتشمل عدم القدرة على العمل لفترة تزيد على ثلاث ايام) بلغ متوسطها ١٠٥ في ايطاليا ، ٩٠ في جمهورية المانيا الاتحادية ، ٨٦ في بلجيكا ، ٧٩ في لوكسمبرج ، ٧٧ في فرنسا ، ٦٣ في الدانمرك ، ٤٥ في ايرلندا ، ٣٨ في هولندا ، و ٢٩ في بريطانيا .

وقد علقت جريدة « يونيتا » (١٧ سبتمبر ١٩٧٦) على هذا قائلة : « تطورت عملية التراكم الراسمالي والتقدم التكنيكي حتى وقتنا هذا ، دون ان يوضع في الاعتبار الامن الصناعي ، ويظهر بجلالة ان سياسة الاستثمار لم تضع في اعتبارها الا القليل لتوجيهه لمنع حوادث العمل (في الانتاج) » .

واخيرا على المرء ان يضع في الاعتبار الامراض التي لا تبدو انها على صلة مباشرة بالانتاج ولكنها تعتبر في حالات كثيرة من امراض « الصناعة » . وتتصل

الطب تجلب لهم اتعاب خيالية . وعلى سبيل المثال يدفع المريض في بعض العيادات مبلغ ٢ مليون بيره دزلة بعرجة وقد قال ملويجي ماريوتي وزير الصحة السابق في ايطاليا ان « اصناف الالهة الذين يريدون المعافاة البيضاء والذين يتكسبون ملايين الليرات يوميا والذين يبيع رسم الزيارة لعبادتهم ربما مريحا لا يمل عن الازياك الذي يسمونه للمريض بتوكيداتهم له بالشفاء السريع ، ان مثل هؤلاء الاطباء لسنا في حاجة اليهم » (جانوراما - ١٤ يناير ١٩٧٦) . والغريب في الامر ان نسبة الوفيات في الاطفال (السنين لا تتجاوز عمرهم عاما واحدا) في ايطاليا مازال في نفس مستوى البلدان المتخلفة . وتزداد هذه النسبة في الوفيات في ايطاليا ١٧ مرة عن مثيلتها في السويد و ٥ مرات مثيلتها في فرنسا .

وتعتبر اصابات العمل والبيانات الخاصة بها احد المؤشرات الرئيسية على ما تجلبه الراسمالية لصحة العمال . فاصحاب الاعمال اهتم لهم الا زيادة كثافة العمل وخفض الاتفاق على الامن الصناعي والريادة الصحية للعمال في الصناعة . فالاسراع في العمل ، والارهاق الجسدي والنفس ، وتقسيم العمل بصورة يصبح فيها العامل مجرد ذيل تابع للآلة ، كل هذا يفسد كل الارضية المثبتة لنمو اصابات العمل في البلدان الراسمالية .

وهاك بعض الحقائق والارقام .

وفقا لبيانات « منظمة العمل الدولية » يقع حوالي ١٠٠٠٠٠ اصابة عمل جسيمة في عالم الصناعة سنويا .

وفي المانيا الغربية يقع قتل من جراء حوادث العمل كل ساعتين ونصف ساعة . ويصاب بالعجز سنويا ٣٠٠ ألف شخص بسبب حوادث العمل . وزاد هذا المعدل في عام ١٩٧٦ بمقدار ٤٦ ٪ بالمقارنة مع العام السابق . ويعتبر فقدان السمع من اكثر الاصابات انتشارا . ووفقا لتقارير الصحافة الالمانية الغربية هناك اكثر من ٢ مليون وظيفة معرضة للضوضاء والضجة الشديدة .

الى الارق والمصداع وادمان المسكرات •
واذا وضعنا في الاعتبار انه كان هناك
ما يقرب من ١٧ مليون عامل عاطل في
البلدان الرأسمالية المتطورة وحسبها
في نهاية عام ١٩٧٧ ، يمكننا أن نستنتج
على الفور العدد الضخم لحالات الاضطرابات
العصبية في هذا الجيش من العاطلين •

وبالطبع لا تعطى الحقائق التي اوردها
هذا تقريبا شاملا ، وان كانت توضح ان
صحة الشعب العامل في المجتمع الرأسمالي
ليست هي هذا النوع من الاستثمار الذي
تعطى له الاولوية •

هذه الامراض بالاضطرابات العصبية
والسيكولوجية المرتبطة بقتل العامل
لوظيفته والتهديد بقتلها أو الخوف من
قتلها • ويقرا المرء في الصحافة الغربية
عن كثير من الحالات لاشخاص اصيبوا
باكتئاب نفسي رهيب نتيجة لطردهم من
وظائفهم • وعلى سبيل أمثال فان الصحيفة
النيوجورجية الفرنسية الاسبوعية
« لويوانت » (العدد ١٩٢ بتاريخ ٢٤ مايو
١٩٧٦) اجرت بحثا حول مجموعة من
العمال عددها ٣٧٧ عاملا تعرضوا لعملية
طرد جماعي من العمل • فبينما كان ٨٧ ٪
من هؤلاء العمال في حالة صحية جيدة
لغاية الا انهم بعد ان فقدوا وظائفهم تعرض
٨٩ ٪ منهم للاكتئاب النفسي بالاضافة

من المصادر الرسمية

مواقف معادية للانفراج

وفي اجتماعات وزراء دفاع حلف
الاطلنطي في عام ١٩٧٧ اتخذوا القرارات
التي تستهدف تصعيد سباق التسلح •
واعلن في « امبوع الاطلنطي » الذي نظم
في باريس في الخريف الماضي ان عام
١٩٧٨ سيشهد تزويد بلدان حلف الاطلنطي
باعداد اضافية من الصواريخ المضادة
للدبابات تصل الى ٤٧,٠٠٠ صاروخ
وبذلك سيصل رقمها الاجمالي الى
١٩٣,٠٠٠ صاروخ مضاد للدبابات •

وكشفت نفس الجريدة ان القوات
البحرية « للئاتو » ستزود باعداد اضافية
من المسمرات (عشرة مدمرات) ، واحدى
عشر كاسحة الغام ، وغواصتان ، وخمس
زوارق طوربيد ، و ٢٣ هليكوبتر •
وستزود ايضا القوات البحرية لحلف

في العام الماضي اعتمدت البلدان
الاعضاء في حلف « اللاتو » الامبريالي
١٦٦,٢٥٣ مليون دولار للاغراض العسكرية
- وهذا الرقم لم يسبق له مثيل في تاريخ
الحلف • فهو يزيد عن رقم عام ١٩٧٦
بمقدار ٢٤ مليون دولار ، و ١٦ ٪ ، كما
انه يفوق كثيرا متوسط معدل التضخم في
بلدان حلف « اللاتو » ، الخمس عشر •

وقد اوربت هذه الارقام احدى الجرائد
المستولة المتخصصة « الانباء العسكرية »
• وقد لاحظت الجريدة بان توزيع النفقات
العسكرية بين الولايات المتحدة وكندا من
جانب وبلدان أوروبا الغربية الاعضاء في
« اللاتو » من الناحية الاخرى لم يتغير في
عام ١٩٧٧ ، ويبلغ رقمي ١٠٩,١٦٠ مليون
دولار و ١٩٢,٥٧٢ مليون دولار على التوالي •

السرية مشاكل إعادة التسليح النووي للحلف ، وخاصة مسألة انتاج سلاح « النيوترون » واستخدامه في أوروبا الغربية . وتتمثل خطورة هذا السلاح الهمجى في انه يوصف بأنه سلاح « تكنيكي » و « غير مؤذ » على الإطلاق . ولكن الهدف من وراء هذا الادعاء هو ازالة الخط الفاصل بين الأسلحة التقليدية والأسلحة النووية واستدراج الشعوب لتقبل التحول الى الحرب النووية .

وقد علقت الجريدة الإيطالية اليومية « يونيك » في ٢٠ ديسمبر ١٩٧٧ على مخططات حلف الاطلسي قائلة : « يتسائل الناس كثيرون عما اذا كان هناك أى مبرر لقتيلة « النيوترون » التي يرى القادة العسكريين الأمريكيين انه لا غنى عنها لزيادة قدرة الردع لحلف الاطلسي ، وبغير هؤلاء الناس سؤالا هاما حول العفصات الجديدة التي يخلقها تزويد القوات المسلحة لحلف « الناتو » بهذه القنبلة أمام المحادثات حول خفض المتوازن للقوات المسلحة في أوروبا الوسطى » .

ويعتبر ملايين الناس في أوروبا الغربية وياقى أجزاء العالم ان قنبلة النيوترون سلاح بريى وهمجى . وتتزايد احتياجاتهم القوية ضد مشاريع انتاجها واستخدامها فوق اراضى القارة القبية . ويطالبون ايضا بوضع حد للجولة الجديدة لسباق التسليح التي بدأها رجال حلف الاطلسي والتي تتعـارض مع الانفراج .

الاطلسي بكمة اضافية من الدبابات (٢٦٥ دبابة) ، و ٢٧٠ سيارة مدرعة ، و ٨١٤ أداة إطلاق صواريخ مضادة للدبابات ، واكثر من ١٤٠٠٠ مطلقـة قتال يدوية . اما بالنسبة للقوات الجوية التابعة للحلف فانها ستزود بـ ١٢٢ طائرة مقاتلة ، و ٢٢ طائرة نقل ، و ٦٣ طائرة هليكوبتر ، و ٢٦٠ مدفع مضاد للطائرات ، و ٢١٢ أداة إطلاق صواريخ أرض - جو .

ومع ذلك ، يبدو ان مخططات استراتيجية حلف « الناتو » لا يتفون بهذا ، بل يريدون المزيد . ففى الخريف الماضى عكف الممثلون المداثمون لبلدان حلف الناتو فى بروكسل على وضع برامج طويلة المدى لتدعيم قوات واسلحة حلف الاطلسي . ويستهدف هذا البرنامج تحديث القوات النووية ، والاسطول ، والدفاع الجوى ، وينطوى هذا البرنامج ايضا على الاستعدادات للاعمال العدائية ، والنقل السريع للتعزيزات ، وتعبئة الاحتياطى ، واحلال الاسلحة الجديدة .

واخيرا ، اجتمعت مرة أخرى المجموعة التخطيطية النووية التابعة لحلف الاطلسي فى بارى بإيطاليا فى أكتوبر ١٩٧٧ . وقد حضر هذا الاجتماع وزراء دفاع الولايات المتحدة ، والمانيا الغربية ، وبريطانيا ، واليونان ، والدانمرك ، وبلجيكا ، وإيطاليا بالاضافة الى جوزيف لوتز السكرتير للعام لحلف الاطلسي . وقد توفى فى هذا الاجتماع فى اقصى درجاته



● في الفن والثقافة :

- الجديد في السينما السوفيتية

● من عواصم العالم .

- المشاكل الاقتصادية بين اليابان وأمريكا
● الحد من إنتاج الجبسوب
● تدهور الاخلاق في دول الفسرب
● تشيكوسلوفاكيا : ٢٠ عاما من الاشتراكية

الجديد في السينما السوفيتية

بقلم : الكسندر كارامانوف

السينما العالمية بأسرها ، ولكنها اكتسبت حدة خاصة في ظروف روسيا الثورية . وقد عمل أساتذة السينما

السوفيتية على إعادة تشكيل السينما ليحققوا بنشاط أكبر « إعادة تنظيم المفاهيم » ، عبر وسائل الفيلم ، كما قال إيرنشتين مخرج « المدرعة بوتمكين »

ومن المعروف أن المونتاج لم يكن من اختراعهم . فقد استخدمه الأمريكيون في مستهل القرن . ولم يكن عبثا أن

يدخل الاستديوهات السوفيتية لبعض الوقت مفهوم « المونتاج الأمريكي » . ولقد كان ذلك اعترافا طبعيا بفضل

السينمائيين الأمريكيين . وكان من الطبيعي كذلك أن يظهر في هوليود بعد فترة قصيرة مفهوم « المونتاج الروسي » وهو مونتاج يركز على التحليل

والدعاية ، ويرتكز على مبدأ : « وهذا يعني » ويكفي أن نتذكر ذلك المشهد الكلاسيكي ، وهو إطلاق النار على درج أوديسا في فيلم المدرعة بوتمكين .

وكانت الثلاثينات في الاتحاد

التي اذ اتحدث في ابحاث واكتشافات السينما السوفيتية ، لا اود التفاضى عن نواقصها ، فهي كثيرة وجنية .

ولا اريد الاستخفاف بالقضايا غير المحلولة ، اذ انها كثيرة كذلك . وانا اتحدث كذلك عن التفاعل مع السينما العالمية ، لا من حيث التأثير والتقليد ، بل من حيث تلك المهام التاريخية الملموسة التي حللتها وتحلها السينما السوفيتية .

واية سينما لا تقوم باثراء العملية السينمائية العالمية الا اذا كان اهتمامها لا ينصب على التجربة الجمالية فحسب وانما ينصب كذلك على التجربة

الاجتماعية . ولقد كانت السينما السوفيتية منذ طفولتها الاولى فنا قريدا ، سواء من حيث اتجاهها الاجتماعى ، او من حيث تطلعاتها الجمالية . فهي لم ترسم الصورة الضاعية للعملية الثورية

فحسب ، بل فعلت ذلك ضمن اطار معركة واضحة . وهذا ما يرتبط مباشرة بأن الثورة المظاهرة التي فتحت عهدا جديدا في تاريخ البشرية كانت مادة للتصوير . ومهمة النهوض بالفاعلية الاجتماعية للمعرض السينمائي امر تشارك فيه



السوفييتية تتضمن « قيمة منهجية » عامة بالنسبة الى السينما العالمية . . . وكان تصوير الموقف الجديد من العمل وعمليات تشكيل الانسان الجديد يقتضى الرأى الذخيرة الجمالية للسينما فى الكشف عن الطباع الانسانية ، وفى دمج التحليل السيكلوجى بالتحصيل الاجتماعى وخلال الثلاثينات ظهر فى السينما السوفييتية وضع نادر ، بل وفريد بالنسبة لتاريخ الفن السينماتى . فقد زال لفترة طويلة « التفاوت » بين التقييم المهنى للأفلام وما تحظى به من نجاح لدى المخرجين . وإذا كان الفيلم الميوليسى « تيس ميند » وليس « المدرعة بوتيمكين » او « الام » هو الذى حظى باكثر اقبال لدى المخرجين فى العشرينات ، فان الفيلم الذى ضرب رقما قياسيا فى عهد المخرجين فى الثلاثينات هو « تشابلييف » الفيلم الرئيسى فى ذلك العقد ، وذلك من جميع النواحي ، بما فى ذلك الاشياء الجمالى لامكانيات الصورة السينمائية .

السوفييتى فترة « هجوم ثان » ، وهو الوقت الذى شملت حماسه الرواد الاوائل للاستراكية ملايين الكادحين فى المدينة والريف . وكانت الخطط الخمسية الاولى تجرى على قدم وساق . وكانت البلاد تتغير بسرعة ، وكذلك يتغير الناس . . . وحلت مكان الافلام الملحمية ، التى صورت شخصية الجمهور الثورى ، افلام سيكلوجية تعرض بالتفصيل انسان الثورة الذى يتلقى ما يجرى معه خلال عملية انضال والبناء . . .

ويظهر على الشاشة أبطال مثل الكساندرا سوكولوا ، فلاحه بسيطة فى فيلم « عضو الحكومة » ، انتخاب الشعب الى السوفييت الاعلى . ولدى هؤلاء الأبطال يصبح معيار العمل معيار الكرامة الانسانية . وهم يعيشون فترة تغيرات داخلية وحدث سينمائى مضغوط الى درجة من التوتر الذى يستحيل وجوده فى الأيام المعتادة « الرتيبة » . وظلت ابحاث وحلول السينما



اذ نجد فيه موضوعا آخر : هل الحب بين رجل وامراة مختلفين من حيث السيرة وخبرة الحياة والتكوين الخلقى الروحي أمر ممكن ؟ وإذا كان ممكنا فكيف ذلك ؟ ومن هنا « يبرز في المقام » الأول من القيام موضوع مسؤولية الإنسان عن الحياة التي عاشها . وعند حل هذا الموضوع يصل الفيلم الى أقصى جدته ، الى الثمن التراجيدي الذي يدفعه البطل لقاء السنوات التي أضاعها ، لقاء مأساة الام التي تركها في وحدة قاسية ، لقاء المصائب التي سببها للأناس آخرين . وإبطال أروع افلام السينما السوفيتية المعاصرة ليسوا أبدا من طبيعة واحدة وعليهم الابتاضلوا ضد العوائق الخارجية بل وضد أنفسهم كذلك ، اذ يرتفعون الى درجات جديدة من الوعي الاجتماعي ويكفي ان نذكر فريدي فيلم بوتابوف في فيلم « الجائزة » لسيرجي ميخائيليان . الفيلم الذي يتحدث عن نضال لا هوادة فيه يخوضه العمال ضد الوسائل المالية في ادارة الاقتصاد . ان السينما التي تعلمت تقص الطباع الإنسانية بنفس دقة الأدب ، تراقب باهتمام الترابط بين الاسس الاجتماعية والخلقية والروحية والعاطفية في حياة الإنسان .

لقد تمكنت السينما السوفيتية في الثلاثينات من جعل الفن الجماهيري رقيقا ، والفن الرفيع جماهيريا . وخلال الاربعينات أصبحت السينما السوفيتية سينما مقاتلة واكتسبت واقعيتها في تصوير أحداث الحرب خصائص جديدة ، وغدت أكثر صرامة . وشهدت السنوات التالية تغيرات جديدة ترتبط باتساع مواضيع الافلام ، وتعد المولف من الحياة التي يجري تصويرها وإذا كان إبطال السينما السوفيتية في الثلاثينات يظهرون على الشاشة وفق سمات اجتماعية ونموذجية مرسومة بدقة ، فإن السينمائيين اليوم يزيدون من التغيرات التي يناهل الإنسان في ظلها ، ويجعلون نظرتهم الى هذا الإنسان أكثر تعقيدا .

فعلنا لو ان أيجسور بروكودين في فيلم « كالينا الحمراء » لشوكشين ظهر على الشاشة منذ حوالي اربعين عاما ، اى في الثلاثينات ، لاعتبر مجرد مجرم « تاب عن الاجرام » . فهل يتطرق فيلم فاسيل شوكشين الى موضوع « التهمة » ، نعم اذ ان بروكودين يظهر امامنا في هذا الثوب أيضا . بيد ان موضوع « التوبة » ؟ ليس هو الموضوع الوحيد في الفيلم ، وليس موضوعا رئيسيا .



المشاكل الاقتصادية بين اليابان وأمريكا

تدهور سعر تبادل الدولار في علاقته بالين ، ويحدث ذلك بسبب الحالة غير السوية للاقتصاد الرأسمالي العالمي ، وفي المحل الأول ، الاقتصاد الأمريكي نتيجة لتدهور الثقة في الدولار الأمريكي . وأحد الأسباب الخاصة لذلك هو تزايد العجز في الميزان التجاري الأمريكي الياباني ٥٨٠٩ مليون دولار في الظهور التسعة الأولى لعام ١٩٧٧ . وفي نفس الوقت تراكمت فوائض ضخمة في ميزان المدفوعات الياباني . وفي النصف الأول من عام ١٩٧٧ وصلت هذه الفوائض إلى ٥٥٠٠ مليون دولار . وتمثل التسويات الثنائية مع الولايات المتحدة أكبر نسبة في موازين مدفوعات اليابان المواتية . ويستنتج بعض الخبراء الماليين في اليابان كذلك أن الزيادة الحادة في سعر تبادل الين يمكن أرجاعه لدرجة ما إلى مناورات اقطاب المال الأمريكيين لتحقيق فائض من الازياح والتي تهدف إلى فرض سعر جديد للين والتغلب على الصاعب المالية والنقدية الأمريكية على حساب

طوكيو

دوائر الأعمال في اليابان حائرة . تسعر تبادل الين في علاقته بالدولار يتزايد منذ شهور . وارتفاع سعر تبادل الين بالنسبة للدولار يعني زيادة في أسعار صادرات السلع اليابانية ، وبالتالي تدهور قدرتها على المنافسة . ويؤدي ذلك إلى تدهور الصادرات اليابانية إلى الولايات المتحدة ، وفي نهاية الأمر ، إلى الحد من الإنتاج . فكلما ارتفع سعر الين في علاقته بالدولار ، كلما قل سعر السلع الأمريكية الصنع في السوق الياباني ، وزادت قدرتها على المنافسة . وكنتيجة لذلك ، فإن زيادة سعر تبادل الين يؤدي إلى تزايد حدة ظاهرة الركود في الاقتصاد الياباني ، وإلى تعميق الكساد .

ولا يوجد شيء غامض حول اسباب

المرتبطه بهم وزراء معينين وادارات.
معينة .

شركاتها في التجارة ، وفي المحل الاول ،
على حساب اليابان .

ومن الواضح ان الزيادة الحالية في
سعر تبادل الين في علاقته بالدولار عملية
لا رجعة فيها ، فاعتماد اليابان على
العلاقات مع الولايات المتحدة وبلدان غرب
اوربا كبير جدا ، كما ان الضغط الذي
تتعرض له من قبل هذه البلدان شديد
للمغاية .

لقد كان لاضطراب سوق النقد في طوكيو
تأثيره غير المواتي على الوضع الاقتصادي
في اليابان ، وعلى النشاط الاقتصادي في
البلاد بكامله . ويتحدث خبراء المال
اليابانيين عن الحاجة الى موازنة عاجلة
لوازين التجارة والمدفوعات في اليابان .
وفي المحل الاول في تعاملها مع الولايات
المتحدة . وليس الامر سهلا . وفي الحقيقة ،
فالامر يتعلق بخفض صادرات اليابان او
زيادة وارداتها مما يؤدي بالضرورة الى
عدوان خطير على مصالح رجال الأعمال
اليابانيين . ولا تبدو أية شركة يابانية اي
استعداد للحد من أرباحها . ونتيجة لذلك
يلحظ المرء اختلافات متزايدة بين ممثلي
رجال الأعمال والتجمعات السياسية

ان سحب التضخم المظلمة ، وتزايد
أسعار سلع الاستهلاك واتساع نطاق
البطالة تتجمع في سماء اليابان . وهكذا
تصبح العلاقة بين الين والدولار ليست
مجرد مشكلة مالية وتقنية دولية هامة ،
وانما مصدر اضافي كذلك لصدامات حادة
على الجبهة السياسية الداخلية في اليابان .

• • •

الحد من إنتاج الحبوب

للحد من إنتاج الغذاء بنقص الطلب على
الحبوب . لكن هذا التفسير غير مقنع .
فالطلب على الحبوب من ملايين الناس
في البلدان النامية ليس اليوم أقل مما
كان منذ عدة سنوات عندما تخلت الولايات
المتحدة عن برنامج الحد من انتاج
الحبوب .

ومن المفيد ان نستعرض بعض حقائق
التاريخ لنرى السبب الذي من أجله تحدثت
وزارة الزراعة الامريكية الآن عن انعدام
الطلب على الحبوب .

كان انتاج الحبوب منذ فترة طويلة هو
القطاع الزراعي السائد . واعتماد
امدادات الغذاء على انتاج الحبوب قد
كثفت عنه بوضوح أزمة الحبوب المتعاظمة
في العالم الرأسمالي عام ١٩٧٢ حتى
١٩٧٥ ، حينما انخفضت مخزونات الحبوب
من ١٦٤ مليون طن (١٥ ٪ من استهلاك
الحبوب عام ١٩٧٢) الى ١١٦ مليون طن

واشنطن

أعلنت وزارة الزراعة الامريكية عن
برنامجها الجديد للحد من انتاج الغذاء .
وقد أتاح الرأى العام لهذا البرنامج
الجديد للحد من انتاج الحبوب وسحب
نسبة كبيرة منها من مجال التجارة
الدولية . وكما أعلن نائب وزير الزراعة
الامريكي . هويت ، فسوف تطالب
الحكومة الكونجرس بالموافقة على تخفيض
٢٠ ٪ من المساحة التي تزرع قمحا ، و ١٠ ٪
من المساحة التي تزرع بحبوب العلف .
وهناك فكرة اخرى بحجم ٣٠ - ٣٥ مليون
طن من الحبوب الغذائية كاحتياطي . وعلى
الفلاحين بالتقل أن يسموا ٢٠ ٪ على الأقل
من محصول الحبوب لعام ١٩٧٨ كخزئه
كاحتياطي قنبرالى .

وتقر وزارة الزراعة هذا البرنامج

وقد لعب نمو صادرات الحبوب دوراً كبيراً في زيادة أرباح الاحتكارات . ففي ١٩٧٦ صدرت الولايات المتحدة ما قيمته ٢٤٠٠٠ مليون دولار من المنتجات الزراعية .

وتزعم الدوريات الاقتصادية الأمريكية أنه نظراً لتدني الأسعار فإن تجارة الحبوب غير مربحة . ومع ذلك فقد زاد أحد الاحتكارات الكبيرة وهو ، كورن بروكتس ، انترناشيونال ، من أرباحه عام ١٩٧٦ حوالي ٥٠ ٪ بالمقارنة مع ١٩٧٣ . ويمكن أن يقال نفس الشيء عن الشركات الكبيرة الأخرى . لقد كان تصدير الحبوب ولا يزال مصدراً كبيراً للأرباح .

وخلال السنوات الأخيرة استستفادت الاحتكارات الأمريكية من مصاعب الغذاء في كثير من البلدان النامية فرفعت أسعار الحبوب لإبعاد خيالية . وإذا طن القمح ، على سبيل المثال ، عام ١٩٦٥ يكلف ٦٣٫٩ دولار فقد بيع في يناير ١٩٧٥ مقابل ٢٠٠ دولار للطن . وزاد سعر طن الذرة من ٥٦٫٣ الى حوالي ١٥٠ دولار عام ١٩٧٥ . لقد أصبح تصدير الحبوب منجم ذهب للاحتكارات . ونتيجة لذلك زادت للدرجة كبيرة مبيعات الحبوب وقول الصويا .

وكما كان متوقفاً فإن البلدان النامية التي كانت المستهلك الأساسي للحبوب الأمريكية لم تستطع أن تدفع مثل هذا السعر . وخفضت بذلك كثيراً من وارداتها من الحبوب . وانخفض الطلب وتدنيت الأسعار . ثم بدأت الاحتكارات تملئ شروطها . وقررت أن تناور ، وأن تخفض احتياطات الحبوب في السوق ، وتنتظر حتى ترتفع الأسعار من جديد ثم تلقى بهذا الاحتياطي إلى السوق . ووضعت الحكومة الأمريكية التي تتلقى توجيهاتها من الاحتكارات ، برنامجاً جديداً للحبوب . وستقوم الحكومة بخلق احتياطي وتقديم القروض إلى مختلف الشركات دون بيع هذا الاحتياطي . وسيجري بيع الاحتياطي بحسب بعد أن ترتفع أسعار الحبوب وقد أشار بيان أصدرته وزارة الزراعة الأمريكية إلى أنه تمضي مع برنامج احتياطي الحبوب . فإن شحنات معينة من القمح والأرز ، كما قد أعلن من قبل عن أماكن بيعها لن تباع

(١٠ ٪ من استهلاك ١٩٧٥) . والجماعة التي أصابت عدداً من البلدان النامية وتدهور نمو إنتاج الماشية في البلدان المتطورة ترجع في الأساس إلى أزمة الحبوب هذه .

لقد أوضحت أزمة الحبوب أن امدادات الغذاء تتوقف اليوم ليس فقط على معدلات نمو إنتاج الحبوب وإنما أيضاً على هيكل إنتاج الحبوب وتوزيعها الإقليمي .

إن التغير الهيكلي في نموذج استهلاك المحاصيل الزراعية قد عدل للدرجة كبيرة الاحتياجات التي يجب أن يلبئها تـطـوـر زراعة الحبوب .

والبلدان التي حررت نفسها من الاستعمار قد بدأت في تطوير صناعاتها ، وبالتالي في زيادة نسبة السكان غير الزراعيين . لقد زادت معدلات استهلاكهم للحبوب الغذائية مما تطلب استيراد كميات أكبر منها من البلدان المصدرة للحبوب . وزاد الطلب على المنتجات الحيوانية في أسواق البلدان الرأسمالية الصناعية ، مما خلق الحاجة إلى تكثيف الإنتاج في هذا القطاع . ونتج عن ذلك زيادة حادة في معدلات استهلاك حبوب العلف . ولذلك زاد الطلب على حبوب أغذية وحبوب العلف .

وفي ظروف تزايد الطلب على الحبوب حولت الاحتكارات الأمريكية صادراتها إلى وسيلة للتوسع الاستعماري الجديد في البلدان النامية . فكثير من البلدان النامية التي لا تملك إمكانات مادية لبناء قاعدتها الغذائية الخاصة ، تستورد الحبوب من الولايات المتحدة ، وهي مضطرة لقبول ذلك بشروط مجحفة .

إن اتجاه زراعة الحبوب نحو إنتاج حبوب العلف وقول الصويا أدى إلى زيادة حادة في تصدير المنتجات الزراعية . ففي الستينات صدرت الولايات المتحدة من ١٨ ٪ إلى ٢٨ ٪ من إنتاجها من الحبوب (دون حساب الأرز) . وفي السبعينات زادت الأرقام إلى ٣٠ ٪ ووصلت إلى ٣٤ ٪ عام ١٩٧٦ .

قبل أن ترتفع الأسعار الى المستويات المعقول .

وهدف آخر للبرنامج يتلخص في ضمان أن مبيعات الحبوب تظل أداة للضغط الاقتصادي والسياسي على البلدان النامية التي تحتاج الى الغذاء .

ومع تدهور مشكلة الغذاء العالمية ، أصبح تصدير الحبوب الأمريكية وسيلة هامة لممارسة الضغط الاقتصادي على البلدان النامية . وتطالب الاحتكارات الأمريكية صراحة بأن تخلق تلك البلدان نهائيا عن أية قيود على استثمار رأس المال الأجنبي واستغلال موارد المواد الخام . والا فإن مبيعات الحبوب وخاصة التي تتم بالاجل ستتوقف الى تلك البلدان . لقد فاقم من المجاعة في بنجلاديش في صيف ١٩٧٤ ، مثلا ، عدم قدرة البلاد على دفع

ثمن شحنات الحبوب الواردة من الولايات المتحدة في الحال . وكننتيجة لذلك أوقفت الشركات الأمريكية امدادات الحبوب الى بنجلاديش في وقت كانت في اشد الحاجة اليها . وحدث نفس الشيء مع الهند عندما أوقفت الولايات المتحدة مبيعات الحبوب اليها في العام الذي تدنى فيه المحصول في الهند ، نتيجة لتعارض سياستها الخارجية مع سياسة الاحتكارات الأمريكية . وهناك امثلة أخرى كثيرة مماثلة .

تلك هي الحقائق . ان المسئولين الحكوميين في الولايات المتحدة يحاولون تقديم برنامج الحبوب الجديد على أنه دليل على رغبتهم في خلق احتياطي عالمي للغذاء . وفي الواقع فإن هذا الاجراء يصره السعي لضمان ارباح اعلى للاحتكارات الأمريكية التي تتحكم في مبيعات المحصولات الزراعية .

...

تدهور الأخلاق في دول الغرب

سكوتلاند يارد البريطاني . فمقابل معلومات سرية للغاية عن عارات البوليس المخططة قبضوا ١٠ ، ٢٠ ، ٥٠ جنديا استرلينيا من اصحاب الملاهي الليلية في حي سوهو في لندن .

وحيث أنه أصبح من الصعوبة بمكان ان تجد « رجالا امعاء » في البوليس البريطاني اتخذ « قران سلبيماني » حق : فوققا ما تقوله الصنادى تأييم ثم حل الفرق التي تكافح تعاطي المخدرات تماما ، لان رجال البوليس استغلوا مراكزهم الرسمية لاعمال المضاربة والابتزاز .

ويأريهم في ذلك المسئولون عن البوليس الجنائي في ألمانيا الغربية ، الذين كانوا لعدة سنوات ، مقابل أجور معينة ، بتقديم معلومات سرا حول عسبد من المواطنين الألمان الى هيئات المباحث الاهلية التي باعت هذه المعلومات بدورها لزيائنها مقابل مبالغ طائلة .

باريس

في جميع الدول الغربية نشر اعلان عن طلب موظفين لديهم احترام عميق للدستور . ومثل هؤلاء الاشخاص النادرين تبحث عنهم لجنة مسئولة لكي تعينهم في وظيفة رئيس مكتب المباحث الفيدرالية . ومن بين ٢٥٠ مرشحا وصل خمسة فقط الى نهاية التصفية . بيد أن حتى هؤلاء الخمسة برهنوا على أنهم ليسوا بلا خطايا . فويلش رئيس فرع فيلادلفيا للمباحث الفيدرالية قرأس عملية سرقة الملفات السرية لبعض المنظمات السياسية المشبوهة وقدم الى المحاكمة ، بينما كشفت علاقة مرشح آخر هو شريف لوكاس من ميتشيجان بمجرمين لهم علاقة بعالم القمار .

ان آثار « احترام الدستور » لا وجود لها نهائيا بين رجال البوليس السري في

عضو الكنيست الإسرائيلي الذي بدأ في جمع ثروته في أواسط الستينات عن طريق المضاربة في بيع الأراضي في فرنسا . ثم امتد نشاطه الى بلدان أخرى ، بما فيها الولايات المتحدة ويمكن هذا المضارب من جمع ثروة ضخمة . وأخيرا ضمت وزارتي العدل الفرنسية والأمريكية بهذا المضارب الناجح . وفي هذه اللحظة بالذات سمع شارون دعوة الأجداد وهاجر الى إسرائيل ، وهنا وضعه حراس النظام في إسرائيل في السجن واستمر فيه حتى ديسمبر ١٩٧٦ . ولكن عند هذه النقطة وضع مبلغ كبير في ميزان العدالة الإسرائيلية : فقد استثمرت ٣٠ مليون دولار من قبل « العبقورية المالية » في اقتصاد البلاد . واشترى الجرم ، كما كشف نائب الكنيست واشترى الامتيازات النووية ، أصوات الناخبين وبذلك ضمن حصانته . وقد يصبح بعد قليل عضوا في الحكومة وسيضاف شخص جديد مريب الى الحكومة الإسرائيلية حينذاك . ويستطيع المرء ان يتذكر القضية التي اتهم فيها وزير الاسكان أبراهام أوفر والزعيم النقابي אשר يابيلين الذي رشحته الحكومة بعد محاكمته مباشرة لتصب محافظ بته اسرائيل ، واسحق رابين نفسه الذي احتفظ سرا بحساب في أحد البنوك الأمريكية على خلاف ما يسمح به القانون الإسرائيلي .

ورغم ذلك ، فغالبا ما يحدث ما يسمى دعاء المجتمع البرجوازي « انتصار الديمقراطية » . فبعض الأشخاص ذوي النفوذ يدخلون السجن أحيانا لجرائم ارتكبوها . لكن المجتمع الذي تحكمه التناقضات الطبقة لا يتمسك بالمساواة في الحقوق حتى في السجن . فبينما يحرم معظم المسجونين الأمريكيين من الحقوق الأولية في الغذاء والملبس ويعرضون للمعاملة المهينة غير الإنسانية نجد ان هالتمان مساعد الرئيس الأمريكي السابق للامن القومي واحد المتهمين في قضية ووتر جيت ، يحصل بانتظام على اللحم والخضروات وكل ما يشتهي من الاطعمة . وفي سجن ماكسويل يعيش سجين آخر هو جون ميتشيل الذي قام بالتحسس على مقر الحزب الديمقراطي ، في غرفة خاصة . ويقدم له الطعام في مقصف خاص وتغيير قائمة الطعام يوميا حسب طلبه .

فأي نوع من الأشخاص يتحكم في نشاط البوليس في العالم الغربي ؟ لقد صدر حكم بالسجن لمدة ١٨ شهرا ضد موري كيمورا العضو القيادي في الحزب الديمقراطي الليبرالي الحاكم في أليايان ، والمحافظ السابق لمحافظة فوكوشيما . لقد كان يتلقى رشايو ضخمة لمدة ١٢ عاما من شركات بناء عديدة مقابل عقود مجزية لمنشآت عامة .

أما جيوسيبو بالدو ، السكرتير الشخصي لنائب وزير الداخلية في إيطاليا وممثل الحكومة في نفس الوقت في منظمة فرولي - فينيس - جويلي ، فقد تلقى كما تقول صحيفة أفانتي المضاربة في روما ، رشوة تبلغ ١٤ مليون ليرة من شركة بيركاسا ، تعهدت بتقديم مساكن جاهزة لحدة اصحابها الزلازل . وحصل بالدو على المبلغ ، غير ان سكان المدينة تركوا دون ماولي على الإطلاق .

ولقد نشأ وباء الفساد كذلك الى بعض بلدان آسيا وأفريقيا . ففي ليبيريا مثلا ، طرد اثنان من ثواب الوزراء واحدا مستشاري الرئيس تولبرت من مناصبهم لاتهامهم باعمال غير قانونية . وفي اثونيسيا تم القبض على ١٠٠ وكيل تبانة و ١٧ قاضيا لسوء استخدامهم لمهام مناصبهم .

فماذا عن اعضاء المجالس النيابية الذين يستعدون بحكم واجباتهم للاشراف على عمل الهيئات التنفيذية ؟

ان عشرين عضوا بالكونغرس الأمريكي يعتقدون ان رجل الاعمال الكوري الجنوبي تونغسون بارك « رجلا غلبا وكريما » وحقا لقد أنفق خلال السنوات العشر الماضية عدة ملايين من الدولارات على اعضاء الكونغرس . ولم تنفق هذه الاموال مقابل لا شيء ، وانما مقابل خدمات محددة : لطراء أصوات لصالح مواصلة السحنات الاسلحة لسبيل وضد انسحاب القوات الأمريكية من كوريا الجنوبية . وهذا الرجل الذي قدم كل هذه الرشايو كانت في نفس الوقت مفتتلا في تلقي الرشايو في نفس الوقت . فقد حجز لنفسه قسما هاما من المبلغ ، وبذلك خدع حكومته التي ارسلته الى واشنطن في هذه المهمة الحساسة . واليك مثال آخر هو صامويل شارون ،

حقائق وأرقام

وقد حقق نمو الدخل القومي ارتفاعاً مضطرباً في مستوى المعيشة وبصاحبه النمو في الوسائل الأساسية للإنتاج . وقد بلغت حصة الاستهلاك الاجتماعي الفردي والمادي من استهلاك الدخل القومي ٧١٪ عام (١٩٧٦) . وفي الفترة ما بين عام ١٩٤٨ و ١٩٧٧ تضاعف الاستهلاك الفردي أربعة أضعاف والاستهلاك الاجتماعي المادي ما يقرب من ٦ أضعاف . وازداد رأس المال الثابت والمتداول ١٣ ضعفاً .

وازداد الناتج الصناعي الإجمالي أكثر من عشر (١٠) مرات في الفترة ما بين ١٩٤٨ و ١٩٧٧ ، محققاً معدل نمو سنوي يقدر بـ ٨٪ في خلال السنوات الثلاثين الماضية . وقد تحقق أكبر زيادة في المنتج في الصناعة الكيميائية ٢٦٫٨ ضعفاً ، والصناعة الهندسية ٢٣ ضعفاً ، وإنتاج الوقود والكهرباء ١٠٫٣ ضعفاً .

وتمثل العنصر الحاسم في تطوير الإنتاج الصناعي في الفترة التي نتحدث عنها ، في ارتفاع إنتاجية العامل التي

تعتبر التحولات التي حدثت في تشيكوسلوفاكيا في الأعوام الثلاثين للبناء الاشتراكي مرهانا مقنعا على أن فبراير ١٩٤٨ يمثل مرحلة حاسمة في تاريخ شعبينا .

ويبرهن نمو الناتج الاجتماعي والدخل القومي على التطور السريع الذي شهنته البلاد . وقد وصلت قيمة الناتج الاجتماعي حتى يومنا هذا إلى ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ مليون كرون (بالأسعار الجارية) ، وهذا الرقم يمثل زيادة تقدر بسبعة أضعاف عن مثيلتها في عام (١٩٤٨) ، هذا بينما زاد الدخل القومي ٥ ضعفاً .

ويساهم القطاع الاشتراكي في الدخل القومي (عام ١٩٧٧) بما يوازي ٩٨ ٪ ، بينما كانت هذه النسبة ٦٦ ٪ في عام (١٩٤٨) ، هذا بينما تصل مساهمة المنتجين الأفراد إلى ٢ ٪ فقط . وتقدم الصناعة أكبر مساهمة في الدخل القومي ، وقد ازدادت حصتها من ٥٨ ٪ (عام ١٩٤٨) إلى ٦٩ ٪ عام (١٩٧٦) .

• لجمع محصول الحبوب •

« واليوم يدرك العمال الزراعيون من واقع خبرتهم أن الريف لم يشهد أبداً من قبل مثل هذه الحياة السعيدة المزهرة التي أوجدتها الاشتراكية المنتصرة ونجاح سياسة الحزب » (تقرير الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي - أكتوبر ١٩٧٥) •

وفي تشيكوسلوفاكيا ارتكز تكثيف التطور العلمي والتكنولوجي على قاعدة عملية ابتداء من عام ١٩٥٠ • واليوم يوجد في تشيكوسلوفاكيا ١٦٥,٠٠٠ فرد يعملون في مجال الأبحاث ، وهذا الرقم يعادل ٢٣٪ من مجموع القوة العاملة • ويحوز ٣٠ ٪ تقريبا من هذا العدد على درجات عالية ، بينما يحوز ٥ ٪ منهم على القاب أكاديمية أعلى • وقد ازدادت النسبة المخصصة من الدخل القومي لتطوير العلوم والتكنولوجيا ووصلت إلى ما يقرب من ٤ ٪ •

ويتضح التمسك التكنولوجي في تشيكوسلوفاكيا من الحقائق التالية :

— انشاء والتوسع في الصناعات الأساسية مثل الإلكترونيات ، الهندسة النووية ، والكيمائيات • وكذلك الازدياد الكبير في الدور الذي تلعبه الآلة بالمقارنة مع العامل في الإنتاج ، حيث انخفضت في السنوات الأخيرة ٢٧ مرة الخدمة التي كان يؤديها العمال في خطوط الإنتاج •

— ارداد دور الآلة في الزراعة بما يعادل ١٣ ضعفا بالمقارنة مع عام ١٩٤٨ ، وبالتالي حرر ذلك أعداد كبيرة من الأفراد للعمل في فروع أخرى من فروع الاقتصاد •

— تم تحديث النقل وذلك بالاحلال التدريجي للقاطرات التي تستخدم اليزل والكهرباء محل القاطرات البخارية على الخطوط •

غير أن هذه الاستخدامات الجديدة والتكنولوجية خلقت بالضرورة الحاجة إلى العمالة ذات الدرجة العالية من المهارة • ومنذ عام ١٩٥٣ ازداد عدد الإخصائين

ازدادت أكثر من ستة أضعاف في الصناعة • وتحققت أكبر الزيادات في الصناعة الكيميائية (١١ ضعفا) ، والصناعة الهندسية والاشغال المعدنية (٩ أضعاف) •

وقد أصبحت الصناعة الهندسية (صناعة الآلات) العنصر الأساسي في نمو الاقتصاد القومي • وقد ساهمت هذه الصناعة بدرجة كبيرة في رفع المستوى التكنيكي والهيكلي • وتحديث اقتصاد تشيكوسلوفاكيا ككل ، وساعدت في الإسراع بنمو الانتاجية • وتعتبر الصناعة الكيميائية من أكثر الصناعات تقدما ، وزاد الناتج فيها ٢٣ ضعفا في السنوات الثلاثين الماضية • وقد ساعد على هذا أن الصناعة الهندسية في تشيكوسلوفاكيا كانت متقدمة جدا في فترة ما قبل الحرب • وكذلك شهدت السنوات الثلاثين الماضية تقدما كبيرا في صناعة التشييد والبناء • وحققت نموًا يقدر بـ ١٢ ضعفا •

وقد ارتكز تطوير الزراعة على اقامة التعاونيات في اطار عملية اعادة التنظيم التدريجي الاشتراكي لها • واليوم يقوم القطاع الاشتراكي المساهمة الأساسية في الزراعة ككل • وتبلغ حصته في الناتج الاجمالي منها ٨٦ ٪ • وتحققت ايضا زيادة ملحوظة في الانتاجية في هذا القطاع • واليوم يبلغ معدل الإنتاج السنوي للمعامل الواحد أربعة أضعاف ما كان عليه قبل الحرب •

وقد أمنت الاستثمارات المضخمة في الزراعة نموها المضطرب بالرغم مما هو معروف عن انجذاب العمالة بعيدا عن المناطق الزراعية • فاليوم لا تزيد القوة العاملة في الزراعة عن ٣٠ ٪ مما كانت عليه في فترة ما قبل الحرب • وقد تطلب هذا اللجوء إلى التركيز والتخصص في الإنتاج • وقد تحقّق أكبر تقدم في مجال تربية الماشية •

وقد حلت تماما مشكلة ميكنة محصول الحبوب • سيما مفر كانت الحاصدة الواحدة تعمل في مساحة ٢٨٦ هكتار ، أما اليوم فقد انخفضت هذه المساحة إلى ١٣٤ هكتار • وتستخدم الآن أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ حاصدة

الحاملين على شهادات التعليم التقنيكي العالية أو الثانوية بما يعادل ٢٥٢٪ ، ووصل عددهم في عام ١٩٧٧ الى مايساوى ٢٢٪ من مجموع القوة العاملة .

وفي مارس ١٩٧٧ وصل عدد سكان جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية الى ١٥ مليون . ويتسم التحول الاشتراكي في بلادنا باحداث التغيرات الديموجرافية الملائمة . وينص الدستور على حماية الاسرة وتؤدى القوانين الاخرى نفس الغرض . وتمنح الام اجازة وضع لمدة ٢٦ اسبوع مدفوعة ، ويمنح ٢٠٠٠ كرون لكل مولود جديد ، وتؤمن الدولة وتدعم اسعار منخفضة لاحتياجات ولوازم الاطفال وتوفر الدولة التعليم المجاني ... الخ .

وتوجد في البلاد اليوم اكثر من ١٨٠٠ دار حضانة للاطفال في مقابل ٢٦٨ في عام ١٩٤٨ ، ويزداد عدد رياض الاطفال بنسبة السرعة .

والمواطن التشيكوسلوفاكي - سواء من الجيل الماضي أو الجيل الجديد - لا يلهو ابدا شيخ البطالة .

وتتحسن الدخول بانتظام نتيجة للعمالة الكاملة وتطوير القوى الانتاجية . وتوضح الارقام التالية معدل نمو اجور العمال ذوي الباقات البيضاء والزرقاء في الصناعة : في عام ١٩٤٨ كان المتوسط ٨١٤ كرون ، وفي عام ١٩٦٠ اصبح ٤٣٦٤ ، وفي عام ١٩٧١ وصل الى ١٦١١ ، وفي عام ١٩٧٧ وصل الى ٢٤٠٠ . وتوفر ارصدة الاستهلاك الاجتماعي دخولا اضافية من خلال الخدمات الاجتماعية التي تمت بصورة لم يحدث لها مثيل من قبل . فبلغ اليوم حصة الفرد سنويا من هذه الارصدة مايساوى ٧٠٠ كرون . ويتضمن الشكل الاشتراكي للتوزيع من خلال الارصدة الاجتماعية الخدمة الصحية المجانية (تتلق الدولة ١٨ مليون كرون سنويا على الرعاية الصحية المجانية بما فيها الادوية التي تصرف مجاناً) ، والتعليم المجاني ، والتأمينات

التي تشمل العجزة والمرضى (يبلغ متوسط المعاش للمتعاقدين في تشيكوسلوفاكيا ١٠٠ كرون شهريا) ، وحلت انزايا التي تمنح لمسرقات الاطفال ، والدعم الذي يقدم لتطوير الخدمات الجماعية .

وقد ازداد اكثر من ثلاث اضعاف الاستهلاك في الطعام والسلع الصناعية منذ عام ١٩٤٨ . ويستهلك سنويا المواطن التشيكوسلوفاكي العادي اكثر من ٨١ كيلو لحم ، ٢٠ كيلو دهون ، ٣٨ كيلو سكر ، ٣٠٠ بيضة ... الخ .

ويوجد لدى الاسرة العائلية في تشيكوسلوفاكيا غسالة كهربائية وجهازان راديو ، ويوجد لدى اكثر من ٩٥ ٪ من الاسر جهاز تليفزيون ، ويوجد لدى ٨٠ ٪ من الاسر فلاحه ، وتمتلك كل اسرة من بين ثلاث اسر سيارة .

ويلعب التعاون الاخرى بين تشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتي وبلدان « مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة » دورا ايجابيا في التطور الاقتصادي للبلاد واستقراره . وتعتبر تشيكوسلوفاكيا في اطار بلدان مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة منتج هام لعدد من المنتجات الصناعية الاساسية . وقد بلغت حصة تشيكوسلوفاكيا في ناتج « مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة » لعام ١٩٧٦ - ١٤٫٨ ٪ من الفحم البني والمجنيت و ٧ ٪ من الحديد الخام ، و ٧٫٤ ٪ من الصلب ، و ٥٫٥ ٪ من السيارات ، و ١١٫٦ ٪ من منتجات البلاستيك ، و ٧٫٤ ٪ من الالياف الكيميائية و ٨ ٪ من الورق والورق القوي و ٢٫٥ ٪ من الاقمشة ، و ٨٫٨ ٪ من الاحذية الجلدية .

لقد دخلت تشيكوسلوفاكيا مرحلة بناء المجتمع الاشتراكي المتطور . ويعتبر الانشباع الكامل للاحتياجات المادية والثقافية للشعب وتوفير التعليم الذي يرغب فيه كل شخص الهدف الدائم للمجتمع وهو الامر الذي يلعب دورا نشطا في خلق القيم الجديدة .

دائرة المعارف

● **الجهة الوطنية الفيتنامية .**

في بداية عام ١٩٧٧ علقت جبهة الوحدة الوطنية
القيتانية مؤتمرها في قصر الوحدة في مدينة
هوشي منه ، مؤسسة الجبهة الوطنية القيتانية التي
تضم الأحزاب السياسية والمنظمات العامة التقدمية
في شمال وجنوب جمهورية فيتنام الاشتراكية .

وهذا المؤتمر ، الذي عقد بعد فترة قصيرة من المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي الفيتنامي ، أظهر من جديد تضامنا ووحدة السكان البالغ عددهم 80 مليون نسمة ، وتصميمهم على المسير في طريق الاشتراكية .

وتقاليد الجبهة الراحلة مغروسة بشكل راسخ في
نضال الشعب الفيتنامي البطولي من أجل الاستقلال
الوطني والوحدة *

فجبهة الهند الصينية للنضال ضد الامبريالية
- اول جبهة وطنية في البلاد - تأسست في بداية عام
١٩٣٠ بعد فترة قصيرة من قيام الحزب الشيوعي
المفتتلى (الذى أعيدت تسميته فأصبح الحزب
الشيوعي في الهند الصينية) في ظروف تصاعد
نضال التحرر الوطني ضد المستعمرين الفرنسيين .

وتأسست رابطة النضال من أجل استقلال فيتنام - وهي جبهة وطنية موحدة لفييتنام - في عام ١٩٤١ في ثروة الحرب العالمية الثانية ، بمبادرة من الحزب الشيوعي في الهند الصينية ، وتحت توجيهه وضمت إلى جانب الحزب الشيوعي المنظمات القومية ومنظمات الشبيبة والفلاحين وممثلو المورجوانية

التاسيسي في مدينة هوفي منه على برنامج الجبهة الوطنية السياسي ذي النفاذ الثماني الذي يمثل هدفه الرئيسي في « توحيد الشعب كله في سبيل فيتناسلمية مستقلة موحدة واشتراكية » .

ويشير البرنامج الى انه لايد من تقوية سلطة الجماهير العاملة في عملية بناء دولة مكلاتورية البروليتاريا وأجراء تحولات ثورية في علاقات الإنتاج وفي العلم والتكنولوجيا والايديولوجيا والثقافة . وتقول الوثيقة انه لايد من خلق الظروف المواتية لكي يشارك جميع المواطنين في ادارة الدولة والاقتصاد والفتنون العامة ، ولكي تلعب الجبهة الوطنية الفيتنامية دورا نشيطا في تعزيز اجهزة السلطة الشعبية والمراقبة عليها . وأحدى المهام الرئيسية للجبهة الوطنية الفيتنامية تتمثل في تعبئة الشعب كله لاعادة بناء الاقتصاد وتطويره ، ومن اجل التصنيع الاشتراكي وازالة الفقر والتخلف وتحويل الإنتاج السلمي الصغير الى انتاج اشتراكي واسع النطاق .

وسوف تنظر الجبهة الوطنية الفيتنامية النظرية الماركسية اللينينية ونهج وسياسة الحزب الشيوعي والفتقاليد الوطنية والاعمال البارزة للثقافة العالمية في شطري البلاد .

ويرى البرنامج السياسي للجبهة الوطنية الفيتنامية ان احد اهدافها يمثل في الاهتمام بظروف الشعب المادية وحياته الروحية وبتطبيق مبادئ المساواة بين القوميات والمساواة بين الرجال والنساء واحترام حرية الدين .

وسوف تطور الجبهة الصداقة والتعاون العالميين والتضامن النضالي والتعاون بين جمهوريات فيتنام الاشتراكية وشعوب البلدان الاشتراكية الشقيقة على اساس الماركسية اللينينية والاممية البروليتارية ، ومع شعبي الهند الصينية الشقيقين في لاوس وكمبوديا ، ومع شعوب البلدان النامية وغيرها من البلدان . وسوف تؤيد بنشاط نضال الشعوب ضد الامبريالية

الوطنية ورجال الدين . ولعبت الرابطة دورا رئيسيا في تشكيل جمهوريه فيتنام الديمقراطية نتيجة لاتنصار مورة أغسطس ١٩٤٥ ودحر العدوان الفرنسي عام ١٩٥٤ . وبدأت الجبهة الوطنية الفيتنامية عملها في الايام الصعبة عام ١٩٥٥ عندما كانت توضع الاسس لمجتمع اشتراكي في الشمال ، بينما اقيمت في الجنوب حكومة عميلة وتابعية كلية للامبريالية الامريكية . وبعد بضع سنوات ، خلال النضال المسلح الواسع ضد نظام حكم سايجون الفاسد ، خلق الوطنيون الفيتناميون جبهة التحرير الوطني في جنوب فيتنام ، التي ناضلت نضالا بطوليا ليس من اجل التحرر الوطني للجنوب فحسب ، بل ومن اجل توحيد البلاد بأسرها .

وفي عام ١٩٧٦ ، بعد انتصار المصعب الفيتنامي التاريخي على المعسدين الامبرياليين ، خلعت جبهة اوحدة الوطنية الفيتنامية على اساس دمج الجبهة الوطنية الفيتنامية (١٩٥٥ - ١٩٧٦) وجبهة التحرر الوطني في فيتنام الجنوبية (١٩٦٠ - ١٩٧٦) واتحاد القوى الوطنية والديمقراطية وقوى السلم الفيتنامية (١٩٦٨ - ١٩٧٦) . واستكمل هذه العملية في فبراير ١٩٧٧ بتشكيل الجبهة الوطنية الفيتنامية .

وقد تحدث لي دوان ، السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي الفيتنامي ، مخاطبا المؤتمر التاسيسي للجبهة الوطنية الفيتنامية ، بتقدير عال عن الدور الذي لعبته هذه المنظمات الوطنية في نضال الشعب الفيتنامي ، فقال : « ان جبهة الوحدة الوطنية ساهمت مساهمة هامة في الانتصار في النضال ضد العدوان الامريكي ومن اجل الخلاص الوطني . والجبهة التي تقودها الطبقة العاملة تنمو وتتغز وتلف الشعب حول الحزب . واصبحت جبهة الوحدة الوطنية احد العوامل الرئيسية لاتنصارنا . والجبهة الجديدة في جبهة الشعب كله ، توحّد جميع فئات السكان وتلهمهم تحويل بطولتهم الثورية الى بطولة في العمل » .

وفي ٤ فبراير ١٩٧٧ ، صادق المؤتمر

والاستعمار القديم والجديد ورأس المال الاحتكاري والتمييز العنصري ، من أجل السلم والاستقلال الوطني والديمقراطية والاشتراكية .

ويؤكد البرنامج في الختام على التصميم على تعزيز جميع المنظمات الثورية داخل الجبهة الوطنية الفيتنامية ، وجميع الوطنيين بغض النظر عن الخلفية الاجتماعية والقومية والدينية والجنس أو المهنة ، وجميع الذين يحبون الوطن ويؤيدون الاشتراكية .

وجرى التأكيد في المؤتمر التأسيسي للجبهة الوطنية الفيتنامية على أن القوة القائدة والموجهة للجبهة في الحزب الشيوعي الفيتنامي ، الطبقة الحرجية للطبقة العاملة الفيتنامية وأكثر المدافعين عن مصالح الأمة الفيتنامية الحيوية ثباتاً والمنظم لجميع انتصارات الثورة الفيتنامية .

وتضم الجبهة الوطنية الفيتنامية إلى جانب الحزب الشيوعي الفيتنامي الأحزاب السياسية الأخرى والمنظمات العامة التقدمية (الحزب الديمقراطي الفيتنامي والحزب الاشتراكي الفيتنامي والاتحاد العام للنقابات الفيتنامية واتحاد النساء الفيتناميات واتحاد الشباب الفيتنامي ومنظمات أخرى) . وتوحد الجبهة جميع الطبقات والفئات الاجتماعية في البلاد وكذلك المواطنين الفيتناميين المقيمين خارج البلاد .

والجهاز القيادي للجبهة هو اللجنة

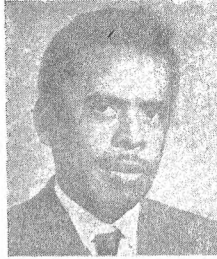
المركزية التي تتألف من ١٩١ عضواً وتنتخب هيئة رئاستها وسكرتارياتها . وقد انتخب المؤتمر التأسيسي « هوانج كوفيت » رئيساً لهيئة رئاسة اللجنة المركزية للجبهة الوطنية الفيتنامية « ونجوين فان لين » سكرتيراً عاماً لها . والرئيس الفخري لها هو «تون دول تانج» ، رئيس جمهورية فيتنام الاشتراكية . وتعمل الجبهة بنشاط من أجل تنفيذ برنامجها السياسي . وقد ناقش اجتماع موسع لسكرتارية اللجنة المركزية للجبهة في أيريل الماضي برنامج عمل الجبهة لعام ١٩٧٧ ، وأكد على أهمية التحضير لانتخابات مجالس الشعب على جميع المستويات والرقابة عليها . ويجري التخطيط لكونفرنسات للجان المحلية للجبهة الوطنية الفيتنامية ، بما في ذلك الكوميونات ، لمناقشة مشروع لدستور جديد وتعبئة الجماهير الواسعة في سيلقوسيع وتعزيز طريقة الحياة الجديدة والثقافة الاشتراكية . وقد وضعت خطة لإجراء انتخابات لجان الجبهة على مستوى الكوميونات لمواصلة تعزيز وحدة العمل للمنظمات المحلية العامة وفقاً للبرنامج السياسي للجبهة الوطنية الفيتنامية .

وقد كتبت « نان دان » صحيفة الحزب ، قائلة أن الوحدة الواسعة بين القوى الوطنية والتقدمية بقيادة الحزب الشيوعي ساعدت فيتنام على دحر العدوان الياباني والفرنسي والأمريكي ، وعلى إحراز الاستقلال وتوحيد البلاد التي قسمت بالقوة . . . ومثل هذه المساهمة ستكون حاسمة في المساعدة في إقامة مجتمع اشتراكي مزدهر في فيتنام الموحدة .

SOCIALIST STUDIES

MARCH 1978

MAIN SUBJECTS



- For Panama's Complete Independence.

- Higher Education Under Socialism.

- The Energy problem : the class aspect.

● روبين داريوسوزا :

- Some Aspects of Monopoly Domination of the mass Media.

المسكرتير العام لحزب الشعب في بنما

● اينز اكياس بابايانو :

- The cost of Health Under Capitalism.

المسكرتير العام للحزب التقدمي للشعب العامل في قبرص (اكيل)

- special Part on :
Soviet Army day

● اب نورلاند :

● كارلوس نونيز :

عضو احتياطي للجنة المركزية للحزب الشيوعي في بيرو

عضو اللجنة التنفيذية وسكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الدنمركي

● فيتالي موييف :

● بادامين لهامسورين :

عضو هيئة تحرير مجلة قضايا المسلم والاشتراكية

عضو اللجنة المركزية لحزب الشعب الثوري المنغولي

دراسات اشرالية

مجلة شهرية
تصدر عن دار الهلال
بالتعاون مع مجلة
السام والاشتراكية

رئيسة مجلس الإدارة :

أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة :

صبري أبوالمجد

رئيس التحرير :

إبراهيم عبد الحليم

ثمن العدد : جمهورية مصر العربية
١٠٠ ملجم - عن الكميات المرسلة
بالطائرة في سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا .
في الأردن والعراق ١٣٠ ملما .
قيمة الاشتراك السنوي : ١٢٠ عدداً ،
في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد
البريد العربي والافريقي ١٠٠ قرش صاغ
في سائر أنحاء العالم ، ٥ ونصف دولار
أو ٢ ج.ك والقيمة تسدد مقدماً لقسم
الاشتراكات بدار الهلال . في جمهورية
مصر العربية والسودان بحالة بريدية .
في الخارج بتحويل أو شيك مصرفي
قابل للصرف في جمهورية مصر العربية
والأسعار الموضحة أعلاه بالبريد
العادي - وتضاف رسوم البريد الجوي
والمسجل على الأسعار المحددة عند
الطلب .

الإدارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد
عز العرب : القاهرة .
تليفون : ٢٠٦٦٠ و عشرة خطوط ،



تقاسيم على المنول

للفنان: هبه عنایت